السيد عاشور

تاجر أقمشة بالحمزاوي

المتخصص في الشأن اليهودي

راضي جودة

السـيد عـاشـور

تاجـر الأقـمشـة بالحـمزاوي ،
والـباحـث فـي الـشـأن الـيـهـودي

تأليـف : راضـي جـودة

مقدمة

على مدى السنوات الخمس التي عشتها إلى جوار البروفيسور حسن ظاظا لا أذكر انه مرت سهرة أو حوار بيننا إلا وأتى على سيرة الحاج سيد عاشور كما كان يحب أن يلقبه . وكان الحاج سيد عاشور الحاضر في ذهنية د. ظاظا كلما تحدث عن القاهرة . كأنه يقول : « مررت به عند وصولي للقاهرة . أو ذهبت إليه مودعاً وتاركاً لديه بعض الملفات »

كان يعتبره الشقيق الذي لم تلده أمه .. الأمين على اسراره والشريك في الحلم والبحث والتأليف . والذي يحفظ لديه معظم الأوراق الخاصة بل والعقود والقضايا.

نموذج جيد للصداقة والتعاون جدير بكشف تلك العلاقة الإنسانية التي جمعت بينهما من خلال الدراسة العبرية واللغات السامية . ثم ذلك الحرص على وضع اليهود في حجمهم الطبيعي دون تضخيم وتهويل ودون تهوين وتحقير .

كانا ثنائي غير عادي على الأقل بالنسبة لي وقد فتحا أمامي بوابة كانت مغلقة للتعرف عن قرب لهذا العالم الغامض عن اليهود وأحوالهم وشريعتهم وتقلبات امزجتهم وحبهم الشديد للمال وخوفهم المرعب من الموت وذاكرتهم الحديدية للأحداث والتواريخ .

بعدما كتبت صفحات من حياة الدكتور حسن ظاظا ظننت أنني لن أكتب مجددا في مثل هذا الموضوع حتى الح على عقلي حضور الحاج سيد عاشور في احداث لم يكن في نيتي البحث فيها سواء عن السيدة التي باعت شقة السكن لظاظا بعد طلاقها أو اختفاء الكثير من ممتلكاته . و الحرص من عاشور على تتبع قضيه الطلاق والتجاوز عن ضياع ما تبقى لظاظا من أثر بالاسكندرية .

اكتب عن السيد عاشور التاجر والمؤلف صديق ظاظا الذي وقف إلى جواره سنوات عديدة وجمعت بينهم الهواية والغواية والأسرار .

راضي جودة

من هو السيد محمد عاشور ؟

ولماذا الكتابة عنه ؟ .

.البحث عن إجابة لمثل هذا السؤال لابد أن تمر من خلال المعلومة التي وصلتني عن الاستاذ سيد عاشور من خلال صديقة الدكتور حسن ظاظا ومن خلال الكتب التي كان لي نصيب للحصول عليها من يد التاجر الاستاذ سيد عاشور (يرحمه الله) عندما قمت بزيارته في سوق الحمزاوي بالغورية بعدما قررت أن أحمل إليه نسخا من كتابي (كشكول الكشكول ـ صفحات في حياة الدكتور حسن ظاظا) بإعتبار ان وجود سيرته داخل الكتاب كانت ضمن العناصر الهامة والقوية للتعريف بالدكتور حسن ظاظا . ففي مقدمة كتاب شريعة الحرب عند اليهود يقدم الدكتور ظاظا تعريفاً بزميله في تأليف الكتاب تاجر الأقمشة السيد عاشور : « كان الحافز الذي حدا بالصديق العالم الباحث الاستاذ سيد عاشور إلى تقدم الصفوف وخوض غمار بحث دقيق عن تاريخ اليهود مع الصراع المسلح . وكنت ارقب صولاته وجولاته في هذا الميدان الصاخب ولا أكاد أشعر بأنه في حاجة إلى نجدتي إلا في مواقف نادرة . وهكذا سيجد القارىء لهذا الكتاب وصفاً تاريخياً وفنياً مفصلا لطريقة اليهود في فهم شريعة الحرب نظرياً وتطبيقاً عبر العصور فهي دراسة تضاف إلى سجل حافل من فتوحات المؤلف نحو فهم عميق ودقيق للعقلية الإسرائيلية في شتى المجالات نحن أحوج ما نكون إليها الآن وبيننا وبين أولئك الجيران المزعجين وقائع دامية لا يريدون لها أن تنتهي » . كما أن الاستاذ محمود جعفر الجبالي ـ مدير عام المؤسسة الاستهلاكية العامة ـ يعرف بالسيد عاشور فيما يلي من مقدمة كتاب (اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة) فيقول : « أما الاستاذ السيد محمد عاشور فهو زميل كريم . وصديق حميم . تخرج في كلية التجارة من جامعة القاهرة . واشتغل بتجارة الأقمشة . فجمع بين النظرية والتطبيق . وكان موفقاً في كليهما كل التوفيق . ولم يمنعه ذلك من أن يتجه إلى

إمداد المكتبة العربية بنتائج إطلاعه المتنوع وثمار تجاربه ودراساته ، وله من الدراسات التي طبعت ونشرت ما يستطيع القارىء أن يلم به في آخر هذا الكتاب .. لقد اقتحم الحاج سيد عاشور حارة اليهود في عز هيلمانها وسلطانها ، بالفكر التجاري العلمي ، الأمين المستقيم ، حتى انحنت أمامه جباه جبابرة السوق منهم ، وأصبح « الحاج سيد » في أعينهم صورة حية للتاجر العربي المسلم ، المخلص الأمين ، الذي لم يمنعه حرصه على الحلال ، والحلال وحده دائماً ، من أن يسعد بالنجاح ، ومن أن يجد في وقته متسعاً للتزود بالعلم والحكمة وهي قيم لا تجتمع مع التجارة .. ولعلهم يقصدون (التجارة) على طريقتهم الملتوية .

وأما الحاج سيد عاشور الذي ولد عام ١٩١٢ الميلادية ببلبيس ، والذي جاء إلى القاهرة ليحصل على الشهادة الثانوية ثم بكالوريوس كلية التجارة . يتحدث عن حياته فيقول :

« نشأت في اسرة تعمل في التجارة، إذ كنت امارس عدداً من الأعمال التجارية البسيطة، اثناء الإجازات الصيفية في مدينتي بلبيس. وهناك بدأ احتكاكي باليهود إذ كان بعضهم يأتي الى الأرياف لبيع الملابس المستعملة للفلاحين، واختلطت بهم وتعرفت بالتالي إلى لغتهم وعاداتهم ».

ويستطرد عاشور قائلاً: «في العام ١٩٣٩م افتتحت محلي في الحمزاوي، وكنت المصري الوحيد الذي يمتلك محلاً لبيع الاقمشة في السوق وقتذاك، إذ كان اليهود يحتكرون تلك التجارة حتى أن كثير من الناس قد سخروا مني، واكدوا انني لن افلح في هذا المجال.لكنني نجحت وذلك أن احتفظت بمبادئ التجارة الشريفة في الامانة وحفظ العهود ودفع الديون في مواعيدها، بل تعلمت منهم ايضاً كيفية استقبال الزبون واستقطابه والحفاظ عليه. وحققت سمعة طيبة في السوق حتى انني انتخبت عضواً في مجلس إدارة الغرفة التجارية في القاهرة، وكان معظم الأصوات التي حصلت عليها من اليهود، وزاد احتكاكي بهم شيئاً فشيئاً. ودرست اللغة العبرية على يد صديقي التاجر اليهودي

دويك، وكان رجل دين. وانا بطبعي اميل إلى دراسة اللغات، واجيد سبعاً ومنها الانكليزية والفرنسية والالمانية والمصرية القديمة».
ويستكمل عاشور بإنه كان يتردد على افراحهم ومآتمهم لمعرفة المزيد عن شؤون حياتهم، وقرأ عدداً كبيراً من الكتب اليهودية بعد إندلاع حرب ١٩٤٨، التي دفعت الكثيرين منهم إلى مغادرة مصر، فباعوا كل ما لديهم، واخذوا ما خف وزنه وارتفع ثمنه. اما الكتب فتركوها وبعضهم دفنها لاعتقاد يقين ان الدود لا يأكل اسم الله، والبعض الآخر باعها.
من هنا كان لابد ان نتعرف بهذا التاجر المؤلف حيث أن للاستاذ السيد محمد عاشور نشاط بارز في مجال التأليف تجاوز العشرون كتاباً ويمكن تقسيم إنتاجه من المؤلفات إلى ما يلي :

أ ـ كتب عن تجارة الأقمشة .
ب ـ كتب في الإقتصاد .
ج ـ كتب في الشرائع السماوية ، والتركيز على اليهودية منها .
د ـ كتب في اللغة .

ومن الكتب التي تم التركيز فيها على التجارة التي احترفها وهي تجارة الأقمشة سعياً لتقديم ثقافة معرفية وإرتقاء للمهنة التي قفز إليها بعض الأثرياء طمعاً في المزيد من الأرباح ، وكانت الكتب التالية :

١ ـ كتاب مصطلحات أسماء الأقمشة .
٢ ـ صناعة وتجارة الأقمشة في مصر ـ جزآن .
٣ ـ صناعة الكرفتات وتجارتها في مصر .
٤ ـ بلبيس وتاريخها .
وأما كتبه عن الإقتصاد فكتب منها :
١ ـ كتاب تحقيق مقالة في التسعير والاسعار للسيوطي .
٢ ـ دراسة في الفكر الإقتصادي العربي (أبو الفضل جعفر الدمشقي) .
٣ ـ كتاب رواد الإقتصاد العرب .

٤ ـ كتاب تنظيم النسل والمشكلة السكانية .

الكتب الخاصة بالشرائع والمختلف بينها والتمحيص في الديانة اليهودية وشرائعها ، والصفات الشخصية اليهودية والكثير من البحوث والدراسات كان منها :

١ ـ الربا عند اليهود.
٢ ـ اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة بالاشتراك مع دكتور حسن ظاظا .
٣ ـ مركز المرأة في الشريعة اليهودية .
٤ ـ شريعة الحرب عند اليهود ـ بالاشتراك مع الدكتور حسن ظاظا .
٥ ـ الصوم في الشريعة اليهودية .
٦ ـ التبني في الشرائع السماوية .
٧ ـ التفرقة العنصرية .
٨ ـ دراسات في الديانة اليهودية .
٩ ـ التموين في الإسلام .
١٠ ـ الختان في الشرائع السماوية .

كما وجدت كتابا متفردا عن اللهجة العامية في مصر ـ دراسة تفصيلية ـ الذي وقع في مائة واربعين صفحة .، ولا يوجد له مثيل فيما أظن بين مؤلفاته .

ومن الملاحظ أن معظم الكتب التي ألفها الحاج سيد عاشور منفردا لم تتجاوز المئة صفحة من الحجم المتوسط . فيما عدى كتاب (الصوم في الشريعة اليهودية) الذي اقترب من المئة وخمسون صفحة فيما زاد عدد الصفحات في الكتابين (شريعة الحرب عند اليهود ، واليهود ليسوا تجاراً بالنشأة) عن ذلك بالتجاوز إلى الثلاثمائه صفحة أو اكثر للمشاركة مع الدكتور حسن ظاظا ، مما يعطي دلالة على أن مؤلفات الاستاذ سيد عاشور تتميز بالإختصار والتركيز لكثرة وتنوع الأفكار داخل عقله . كما ان إتقانه للعبرية والانجليزية والفرنسية والمصرية القديمة أعطاه مجالا للبحث لم يتوفر لغيره ،ولما كان عاشور يعرف

العبرية فقد اشترى منها نحو ٦٠٠ كتاب أفادته في التعمق في أمور اللغة والدين والتاريخ اليهودي، ومنها مؤلفات في الحساب والإقتصاد السياسي والتجارة والفلسفة اليهودية. فتكونت لديه مكتبة نادرة في شؤون الإسرائيليات ليس لها مثيل في مصر، ومنها على سبيل المثال، كتاب «يد حازقاه» للمؤرخ اليهودي موسى بن ميمون ولا توجد منه سوى نسختين، يمتلك عاشور واحدة، والثانية في مكتبة جامعة القاهرة. وهذا الكتاب قيمته حالياً نحو ألف جنيه مصري (بحسابات زمان) ربما يساوي بحساب اليوم بمائة ألف جنيه أو يزيد. وبلغ عدد الكتب العبرية الخاصة باليهودية التي قرأتها ألفي كتاب.

من هو اليهودي؟

أصبحت لعاشور خلفية ثرية عن اليهود، حتى أن مجموعة كبيرة من أساتذة الأدب العبري أو التاريخ واللغة العبرية يلجأون اليه ليمدهم بالوثائق، لا سيما أنّه في فترة من الفترات كانت تلك المعلومات نادرة.
ويعرف عاشور الكثير عن شؤون حياتهم، ومنها الطريف. فاليهودي إذا ما توفي والده لا يشيعه الى القبر، على عكس والدته التي يحرص على تشييعها.
والمعروف ان الشريعة اليهودية تعرف اليهودي بأمه.
وكانت افراحهم تقام يوم الأحد ويُمنع قيامها يوم السبت، لأنه كان يوماً مقدساً لديهم لا بيع فيه ولا تجارة ، حتى في حالات الوفاة لا تشيع الجنازة إلا بعد غروب الشمس.
هذا يعطينا مجال للحديث عن الكتب التي ركز فيها على اليهودية واليهود ولكن نستعرض بعض الكتب التي تحصلت عليها منه شخصياً وهو دافع آخر للبحث وراء هذا الباحث التاجر الذي ليس له مثيل من الندرة والطرافة إلا الهولندي : أنطون فان يونيهوك الذي تمكن من رؤية البكتريا لم يكن طبيباً ولا عالماً وإنما كان تاجر أقمشة ومنسوجات !.. وذلك في سنة ١٦٧٣ م ولكن كيف حدث ذلك ؟!
كان « ليوينهوك « مغرما ببحث الخفايا .. وكان يشعر في داخلة بأن

هناك أشياء (كائنات) دقيقة حولنا كنا لا نراها بعيوننا المجردة .
ولإشباع تلك الرغبة والهواية كان يقوم بتجهيز عدسات ومناظير للرؤية ومجاهر (ميكروسكوبات) . وكان يمضى أوقات فراغه في استخدام هذه العدسات والمجاهر فى الكشف عن الكائنات الدقيقة بمياه البحر والترع , وتكبير رؤية النمل والحشرات الصغيرة , بل إنه كان يقوم بفحص الدم والإفرازات وسوائل أخرى عديدة . واستطاع من خلال هذه الفحوص أن يرى أشكال من البكتريا لأول مرة في التاريخ .
وقام بكتابة ما توصل إليه في خطاب أرسله إلى الأسرة الملكية .. وكان من ضمن ما جاء فيه أنه تمكن من رؤية مستعمرات من الكائنات الدقيقة والتي يعتقد أنها ترتبط بإصابتنا بالأمراضِ .
لكن ما قاله « ليوينهوك « لم يلق اهتماما كبيراً , بل اعتبره البعض نوعا من التخريف !.. ففي تلك الفترة الزمنية البعيدة لم يكن أحد يتصور أن الإصابة بالأمراض يمكن أن ترتبط بوجود جراثيم من حولنا تصيبنا بالعدوى ! فقد كان الناس في تلك الفترة يعتقدون ان المرض ينبع من داخل الجسم ولا يرتبط بمسببات خارجية!
لكن ما ذكره « يوينهوك « تأكدت صحته بعد سنوات طويلة , وأدرك الناس صحة اعتقاده . فلم تتأكد العلاقة بين المرض ولعدوى بالبكتريا إلا في نهاية القرن التاسع عشر
وقبل استعراض نماذج من كتب عاشور اعتذر للقارىء العزيز من عدم التمكن من الحصول على باقي الكتب وذلك بسبب إقامتي بالمملكة العربية السعودية والتي امتدت لأكثر من ثلاث عقود وهو ما يقلل من قدرتي على البحث عن الكتب والمراجع والتحرك داخل مصر لقصر فترة الإجازات ولكن الرغبة الشديدة في تسليط الضوء على هذا الباحث المتميز والذي لا يعرفه أبناء هذا الجيل يدفعني دفعا للإستمرار في هذا الكتاب للحاج سيد عاشور الذي امتد اثر ثقافته إلى ابنة أخيه الأديبة الكبيرة رضوى عاشور زوجة الشاعر الفلسطيني الكبير مريد البرغوثي ووالدة الباحث والشاعر تميم البرغوثي .

كتاب تنظيم النسل والمشكلة السكانية
تأليف السيد محمد عاشور طبع عام ١٩٨٤م
بدار الاتحاد العربي للطباعة

الكتاب من القطع المتوسط ووقع في ٩٦ صفحة تناول فيها المؤلف موضوع تنظيم النسل بالبحث والتحليل وكانت فاتحة الكتاب بالإستدلال ببعض الآيات القرآنية ثم الحديث عن المتوالية الهندسية وقد نادى بها مالتوس التي تقول أن التعداد السكاني يتزايد بالمضاعفة مثلما تقول : (١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ..... الخ) والتي تقابلها موارد العالم بمتتالية بسيطة مثل : (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ..... الخ) ويعترض المؤلف على نظرية روبرت مالتوس البريطاني الذي ولد بانجلترا عام ١٧٦٦ م .بل وينقضه فيقول إن الفلاح عندما يلقي البذور في حقله . ثم يروي الحقل ، وينبت الزرع ، وتعطي الحبة الواحدة من القمح عدة سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة .

نرى الرجل هنا يتحدث بحديث الناس وفي العموم ويرد الأمر للثابت من هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة .

المدخل .. تنظيم النسل

تعريف تنظيم النسل بأنه توقيت إنجاب المواليد في الوقت المناسب للأسرة التي تتحمل المسؤولية صحياً واقتصادياً ، مما لا يعني منع الحمل إنما تنظيمه عدداً ووقتاً شارحا ذلك من خلال فكرة التخطيط العائلي ، وان كثرة العيال جالبة للفقر ، ويعرض لقول المعارضين لفكرة ضبط النسل بأنها عمل ضد الأخلاق وضد الديانات ، وقد يؤدي إلى تفشي الزنا .

الباب الأول .

تاريخ التفكير في مسائل ضبط النسل .

يؤكد المؤلف على أن مسألة ضبط النسل مشكلة قديمة ولكن تم النظر إليها والتركيز لها ببحث ونظرية سير توماس مور في القرن السادس عشر الميلادي بانجلترا حول المدينة الفاضلة التي لايجب ان يتجاوز عدد سكانها عن ستة آلاف نسمة وكذلك تحدي عدد أفراد الأسرة والزيادة تخرج إلى خارج حدود المدينة . لكن العصر الحديث ظهرت به العديد من المذاهب من خلال الاقتصاد وظهور الشيوعية التي حبزت التنظيم الإجباري رغم الأراء المتعددة التي ظهرت والتي لم يغفلها المؤلف في هذا الجزء من الكتاب ، ثم عاد لتفنيد نظرية مالتوس ، اما التطرق إلى طائفتي البراهمة والبوذيين اشار إلى اعتناق البراهمة لفكرة زيادة الإنجاب والإيمان بالفروق بين الطبقات عكس البوذية التي تنادي بالرهبنة التي تؤمن بقهر الشهوة والسيطرة على الرغبات المادية . وبالرغم مما سبق عن عدم تقيد الهنود بفكرة تنظيم النسل إلا أن الزعيم الهندي المهاتما غاندي كان من دعاة تنظيم النسل ، ومن هنا اتخذت الحكومة الهندية بعض الخطوات للحد من الزيادة السكانية منها :

- إنشاء المجالس الطبية المتخصصة لتنظيم الأسرة وتوعيتها .
- اتباع طرق التعقيم المختلفة للذكور وذلك بطريقة الإختيار والتطوع .
- إنشاء وإذاعة برامج التوعية بمشاكل التزايد السكاني ومساوئه ، ونقد التقاليد البالية التي كان يتمسك بها الكثير من الهنود .

غير ان اليابان لم تحذو حذو الهند بل سمحت بأكثر من ذلك وهو الإجهاض ، ولكنها تراوحت في بعض السنوات إلى تشجيع النسل وتمثل ذلك في الإرتباط الوثيق بين تنظيم النسل والإقتصاد وكانت تأد البنات وفعل الصينيون نفس الفعل بإغراق الأطفال حتى صدر قانون عام ١٩٥٠م يجرم ذلك ، عكس اتباع زرادشت في الفرس الذين يشجعون على الزواج باكثر من واحدة ، والإكثار من الإنجاب ، ولابد ان

نذكر إشارة الكاتب لمزدك الذي ظهر في فارس في عهد الملك (قباذ) والد انو شروان .. والذي كان ينادي بإباحة المال والنساء ، وجعل الحياة شركة بين جميع الناس وزيادة النسل ، ووافق الملك على تبني الفكرة إلا أن ابنه (كسرى أنو شروان) عندما تولى الملك بعد ابيه طلب مزدك وقتلة بعد تلك المبادىء المخزية . أما أوروبا فكانت النظريات الإقتصادية هي العامل الأساس في هذا الموضوع .

الباب الثاني

الأديان وتنظيم النسل

ـ الديانة اليهودية : يستدل الكاتب هنا بسفر التكوين ـ الاصحاح الأول ـ آية ٢٨ حيث تقول التوراة : « وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » الذي يرفض تنظيم النسل ، أما المؤيدون لفكرة تنظيم النسل من اليهود ، فيحددون حالات ثلاث لتنظيم النسل ، وهي :

١ ـ حالة المرأة صغيرة السن ، قد لا تتحمل الحمل ويقضى عليها .

٢ ـ التي تخشى على جنينها من التشوه أو النقص عليها أن تلجأ لإجهاض نفسها .

٣ ـ المرأة المرضع التي ستضطر إلى فطام رضيعها .

وتضاربت الأقوال التي وردت بين التلمود وسفر يوشع بالتوراة .. ففي التلمود :

هناك أربع يعتبرون من الأموات ١ ـ الفقير . ٢ ـ الأعمى . ٣ ـ الأبرص . ٤ ـ من ليس له أولاد ،، لكن ماورد سفر يوشع يعكس ضبط النسل : ولد واحد يتقي الرب خير من ألف منافقين ، والموت بلا ولد خير من الأولاد المنافقين .

وكان اليهود في الزمن القديم يعمدون إلى تقليل النسل بأمر فرعون مصر ، ونذكر أن أم موسى عليه السلام ألقته في اليم بعد ولادته حتى تنقذه من رجال فرعون ، بينما كانت الاناث تترك لتعيش (سفر الخروج ١٦/١ ـ ٢٢)

ـ المسيحية وتنظيم النسل .: تقرر المسيحية أن البتولية أفضل من الزواج ، وذلك على العكس من الشريعتين اليهودية والإسلامية اللتين اباحتا الزواج وشجعتا عليه ، دون البتولية .
وهنا يذكر قول بولس ـ إن العزوبية أفضل من الزواج لكن من لا يقدر عليها فليتزوج ، وذلك يدل على أنه لم يحرم الزواج تحريما عاما .
ويذكر قول أحد رجال الكنيسة : الزواج خطيئة دوما ، وكل ما يمكن عمله لتبريرها هو تقديس العروسين وإنجاب الاطفال .
ويمكن تلخيص ما أتى به من آراء الطوائف المسيحية فيما يأتي :
ـ الانبياء قد نادوا بالعفة ، ومن الأفضل أن يحتفظ الرجل بنفسه ويمتنع عن الزواج .
ـ الغرض الأول من الزواج هو التعاون ويأتي النسل بعد ذلك .
ـ قد يتفق الزوجان على اسلوب المعاشرة أو الامتناع للمعاشرة بسبب الصوم أو الصلاة .
ـ الطلاق ممنوع ولا يجوز الطلاق بسبب العقم ، ولا طلاق إلا لعلة الزنا . ومن تزوج بمطلقة فقد زنا .
ـ يكتفي بالزواج الأول .. أما الزواج الثاني فإنه أقل مرتبة روحية ، وكذلك الزواج الثالث .. أما الزواج الرابع فلا تقره الشريعة المسيحية .
ـ التبني جائز لتخفيف عبء الأسرة .
ـ ان الزرع هو المعاشرة الزوجية ولا تتم في كل وقت .
ومن المأثور عن البابا كرلس الثالث (المعروف بابن لقلق) ١٢٣٥ ـ ١٢٤٣ م . قوله :
لا يجوز العزل ، ولا استخراج الزرع والقاؤه بحيث لا يحصل النسل ولا التداوي لمنع الحمل .(من كتاب ابن العسال ص ٤٤١).
موقف الإسلام من تنظيم النسل :
ان الذي يإخذ من نصوص فقهاء الحنفية أنه يجوز أن تتخذ بعض الوسائل لمنع الحمل ، ليكون هناك فترة بين الحمل والحمل من أجل صحة الأم ، أما الحمل تبعا لهوى النفس ولا يقر تحديد النسل لإمتاع النفس والجسم

وإطلاق الحريات للسيدات في الرياضة والسفر .
لو لم يكن سوى ما أوجبته الدعوة إلى سبيل الله في كل من الأزمنة ونبه عليه القرآن الكريم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » نقول لو لم يكن سوى هذا في الشريعة الإسلامية لكفى في معرفة أن الأصل عندها هو العمل على كثرة النسل والتوالد ولقد حببت الأحاديث في كثرة التزاوج لغرض الولد بأساليب من شأنها أن تملأ النفس رغبة ومحبة للأولاد وكثرتهم .
فمن ذلك ما يروى من قوله عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة » . وقوله : صل الله عليه وسلم « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » وهذا هو المهم .
إسقاط الحمل : هناك شروط ترى الفتوى إباحة الإجهاض قبل نفخ الروح لأنه فيه صيانة آدمي محقق الحياة بما ليس كذلك . أما بعد نفخ الروح في الحمل فلا يباح إسقاطه ، ويعتبر إسقاطه في تلك الحالة جناية تستوجب الدية أو الغرمة وهذا يتفق تماما مع أراء الاطباء
وقد عرف الإسلام العزل ، وهو استخراج الذراع والقاؤه بحيث لا يحصل النسل ، أو ما يعرف بلغة الطب بأنه « لجوء الزوج إلى الانسحاب من العملية الجنسية قبل إتمامها حتى يتم القذف خارج المهبل » .
ـ وعندما قالت اليهود : إن العزل هو الموءودة الصغرى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « كذبت اليهود ـ إن الله عز وجل لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه .
ـ وجلس عمر بن الخطاب وعلى والزبير وسعد رضى الله عنهم أجمعين في نفر من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتذاكروا العزل . فقالوا ـ لا بأس به ، فقال رجل إنهم يزعمون أنه الموءودة الصغرى ، فقال علي كرم الله وجهه .
: لا تكون موءودة حتى تمر عليها التيارات السبع حتى تكون سلالة من طين ثم تكون نطفة ، ثم تكون علقة ، ثم تكون لحما ، ثم تكون خلقا آخر ، فقال عمر رضى الله عنه : صدقت .

أما الفكر الشيوعي فيقر بلسان كارل ماركس فيلسوف الشيوعية : ان العالم لا يعاني من مشكلة السكان إنما من مشكلة التوزيع . وهو نفس مبدأ التتار الذين يشجعون على كثرة النسل الذي يساعدهم على شن الحروب فباحوا الزنا ولم يمنعوا الجمع بين الأختين .

الباب الثالث

وسائل تنظيم النسل

تتفاوت حالات ووسائل تنظيم ومنع الحمل حسب المذاهب والمعتقدات كما سبق ولكن هنا يبرز المؤلف عمليات التعقيم اي التحويل للعقم كما في حالة الخصي والرهبنة والبتولية من ناحية الحريم والإجهاض والصوم وفي هذا الباب الكثير من التفاصيل .

الباب الرابع

الإخصاب

الإخصاب يقوى بالزواج المبكر . والتغذية ومراعاة فترات الحيض وما يتبعها من عوامل نفسية لدى المرأة . وكذلك إمكانية الزواج مرة أخرى رغبة في الإنجاب وتناول الأدوية التي تساعد على زيادة عدد الحيوانات المنوية . كما ان هناك امكانية التلقيح الصناعي أو كما يطلق عليه طفل الانابيب .

الباب الخامس

الإحصاء وعلاقته بضبط النسل

إن أهمية علم الإحصاء بالقياس لجميع مشاكل البشرية لا تحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل .. فكل مشكلة يمكن دراستها وابتكار الحلول المثلى لها على ضوء ما تظهره الإحصاءات المتعلقة بها من حقائق ووقائع . وبدون هذه الإحصاءات لا يتسنى تقدير الحالة تقديراً سليماً يوصل إلى الحلول المناسبة .

ومن أهم الإحصاءات ما يتعلق بزيادة عدد السكان أو نقصهم . إذ يتوقف البت في شؤون النسل ووسائل ضبطه على الوصول إلى الاحصاءات التي تتصل بالسكان .

التبني
في الأديان السماوية
وما قبلها

تأليف

السيد محمد عاشور . بكالوريوس كلية التجارة (القاهرة) وتاجر أقمشة بالحمزاوي

طبع الكتاب عام ١٩٨٤ بدار الاتحاد العربي للطباعة وعدد صفحاته ٨٨ صفحة .

يعرف المؤلف موضوع التبني بأنه : ما هو إلا علاج مؤقت للعقم ، وعامل من عوامل إرضاء عاطفة الأبوة والأمومة المفقودة ، فإن الله تعالى قد خلق البشر وجعلهم يتسلسلون جيلاً بعد جيل منذ آدم عليه السلام ، وبذلك يعتبر كل إنسان نفسه خالداً في صورة ذريته من بعده ، تلك الذرية التي ستحفظ اسمه وذكراه ، إلى ما شاء الله ، فأما من حرم من هذه النعمة فقد اتجه إلى (التبني) يحل به المشكلة ، ولو حلا جزئياً .
وكان من الطبيعي أن تتفاوت النظم والقواعد التي تحكم التبني على مر الأوقات والعصور ، وتفاوت الطباع والعادات بين الشعوب والأمم .
على أن تحريم الإسلام للتبني أو عدم اعترافه به ، لا يمنع من أن يكون الإنسان باراً ومحسناً لمن يراه جديراً ببره وإحسانه ، فالإسلام يجعل من جميع المؤمنين (إخوة) وفي الحديث الشريف : المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه .

الباب الأول

التبني وما يتصل به

معنى التبني : علاقة مصطنعة ، غير طبيعية ، وهو تغيير حالة المتبني

يجعله تابعاً لأبوين آخرين غير أبويه الطبيعيين ، وأما البنوة فصورتها أن يكون للشخص ابن طبيعي جاء من صلبه ، وهناك بنوة معنوية وليست حقيقية فهي على سبيل الرمز ليس إلا مثل بنوة الاستاذ لتلميذه .

وعن الاسباب التي دفعت الناس للتبني قديماً قد ساق المؤلف ستة عشر سبباً نخلص منها : الرغبة في استمرار تسلسل العائلة وبقاء اسمها ، تحاشي عقاب من ليس له أبناء حيث تضع بعض الأمم ألوان من العقوبة لمن لا ينجب اولاداً ،

تعيين وراث لمن ليس له وريث ، وتحقيق العتق ، فالذي يتبنى الرقيق ربما يحرره ويصبح ابناً شرعياً كذلك كان القانون البابلي يمنح المحروم من الذرية حق التبني .

أما عن صور التبني وطرقه ، فمن صور التبني منذ العصور القديمة ذلك المثال الذي جاء في (المزامير) إصحاح ٧/٢ : (إني أخبر من جهة قضاء الرب ـ قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك) .

وهذه الصيغة تشبه بعض الصيغ التي كانت مألوفة في التبني لدى أهل بابل وآشور . كذلك كانت هناك صيغ أخرى غير صريحة ، وربما كان سبب ذلك وجود نظام تعدد الزوجات .

الباب الثاني

قوانين التبني في العصور القديمة

من الصور القديمة لنظام التبني ما يوضحه المؤلف فيما يلي :

أ ـ قانون أورنمو : أصدر هذا القانون في مملكة سومر ـ الملك أورنمو مؤسس أسرة أور الثالثة حوالي عام ٢٠٥٠ قبل الميلاد .

ب ـ شريعة اشنونا : صدرت في عهد الملك بلالاما لتنظيم شؤون مملكته بعد سقوط اسرة اور الثالثة وذلك بعد شريعة أورنمو بمائة عام .

ج ـ قانون لبيت إشتار : هو قانون الملك الخامس من ملوك أسرة إسن بالعراق القديمة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

د ـ قانون حامورابي : حامورابي هو سادس ملوك الأسرة البابلية القديمة وعهده ما بين ١٧٣٨، ١٦٨٦ ق . م . يعتبر من أشهر القوانين التي وصلت إلينا عن الحضارات القديمة لكثرة ما احتواه من قوانين ، وإن كان متأخراً عن قانوني أورنمو وأشنونا ، وتم اكتشافه في عام ١٩٠٢ م .

هـ ـ شريعة أشور : تشبة شريعة حامورابي ولكنها كتبت على لوح من الطين تهشم البعض منه ولم تصل كاملة وقد تم اكتشافها ما بين ١٩٠٣ ، ١٩٠٤م .

و ـ قانون نوزي : نوزي هو اسم مدينة على نهر دجلة وكانت من أهم المدن العراقية القديمة والتي كان لها حضارة مزدهرة وكانت تبيح التبني .

ز ـ القوانين الحيثية : هذه المجموعة غير الرسمية تم اكتشافها بالقرب من انقرة في بلدة برغاز كوى وهذه القوانين ظهرت فيما بين القرن الخامس عشر والثاني عشر قبل الميلاد .

ح ـ قوانين أوجاريت : قوانين كتبت باللغة الآكادية كما ان بعضها بالحروف الفينيقية واوجاريت إحدى مدن فينقيا القديمة قرب اللاذقية وسبقت التوراة بمائتي عام .

الباب الثالث

تاريخ التبني في بعض الدول القديمة

يتصدر هذا الباب التذكير بقانون حامورابي واهميته في تشريع التبني والتشجيع عليه ومروراً ببعض الأمم والدول القديمة التي كان التبني معروفا لديها وغير مستنكر ، بداية من التبني في الجاهلية ووجوده بين العرب ، ثم التبني في البلاد المتبربرة والتي عرفها بأنها تلك المجتمعات التي كانت متخلفة وذات نظام قبلي ، كما التبني عند اليونان القدماء منذ عصر هوميروس ، والتبني عند الرومان فيما يعرف بقوانين جستيبان ، وكان التبني على نوعان (عائلي ـ وفردي) ، والتبني في الهند والصين واليابان ، والتبني في مصر القديمة ويذكرنا بقصة موسى عليه السلام ، كما التبني في اوروبا انجلترا وفرنسا والمانيا ، وايران عرفته كذلك عندما

نادى به (مانو) الزعيم الديني الفارسي ، الذي كان يحث أيضا على كثرة الإنجاب من الذكور .

الباب الرابع

النساء والتبني

وهنا يشير المؤلف ـ عاشور ـ لمصدر من مصادره في البحث وهو كتاب (اساطير العالم القديم) الذي يشرح أنه كان ممكناً الزواج أو التبني على أساس من الدوام .. ويقوم الاختلاف نفسه في تبني البنات ، ويسمى في البابلية ـ مارتوتو ـ وهي حالة قانونية يمكن تبني البنت فيها ، وقد عرف الاسرائيليون تبني البنات ، وهذا ما حدث للسيدة هاجر فقد كانت السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام عاقراً ، فقد دفعت بجاريتها (هاجر) إلى زوجها ، فانجب منها سيدنا اسماعيل عليه السلام

الباب الخامس

التبني وعلاقته ببعض صور الزواج

تعددت صور الزواج التي طرحها ـ عاشور ـ في هذا الباب فيما يسمى زواج الإغتراب والأمة والسرية والمحظية ، وربما لم يسعفه العمر للإطلاع عما يحدث اليوم من زواج الويك اند والسري والمسيار والمتعة وغير ذلك ، وزواج الاغتراب (العريبو) هو صورة من صور التبني الخاص ، ويعتبر زوج البنت (المغترب) كالابن المتبني ، وكذلك يعتبر عضواً في العائلة . على أن مسئوليته عن سداد المهر تبقى حتى يقوم بالعمل المقابل للمهر ، أما إذا أراد أن يفك نفسه قبل أن يتم ما عليه من العمل فإنه يكون مسئولا عن سداد المهر ، فإذا أتم العمل المتفق عليه فله أن يتزوج بنتا متبنية ، على أنه بعد زواجه منها يكون أولاده منها بمثابة أولاد والد زوجته ، ولا ينسبون إلى أبيهم الفعلي .

وكان زواج العريبو موجودا عند السومريين وأهل بابل وآشور ، يضرب المثل بزواج يعقوب من بنات لابان ، وأن يعقوب قد استمر في خدمة لابان

مدة من الزمن .. ولكن الكاتب لم يأتي على ذكر زواج موسى من بنات شعيب .

الباب السادس

الرضاعة والتبني

تشترط بعض الشرائع ألا يتجاوز عمر المتبني ثمانية عشر عاماً ، فيجوز تبني الطفل منذ ولادته وحتى سن الثمانية عشر .

وبعض الشرائع تقول : بأنه إذا أرضعت الأم مثل الطفل يغفر له ذنبه ولو كان قاتلاً ... فلو قبل ثدي أم المقتول ثلاث مرات فإنه يصبح في أمان ولا يعاقب على قتله .

وقد جعلت الأديان السماوية من الرضاعة سبباً في الأمومة والأخوة وانتهت إلى منع التبني وتحريم آثاره . ولعل ذلك يفسر الحل البديل عن التبني بتعظيم قيمة الرضاعة والتي تربط بين الأم التي ارضعت والطفل الذي أصبح ابنا لها وأخا لأولادها .

الباب السابع

دعاء الله من أسباب منع التبني

القرآن الكريم يبين لنا فضل الدعاء الذي يجلب الولد من صلب الكهل وانقطاع الحريم عن الحيض أو الإصابة بالعقم . ولذلك أورد لنا المؤلف في هذا الباب أشهر قصتين بينهما رب العزة والجلال في القرآن الكريم في سور (هود ـ والصافات ـ ومريم) حيث دعاء خليل الله إبراهيم ، ومن بعده دعاء سيدنا زكريا .

الباب الثامن

التبني عند اليهود

جاء ذكر التبني في التوراة ، فيما ورد عن قصة تبني ابنة فرعون مصر لسيدنا موسى عليه السلام ، وكان ذلك خارج نطاق المجتمع اليهودي ، سفر الخروج ٢/١

كذلك تبنى (موردخاي) وهو من كبار موظفي الدولة الفارسية ابنة عمه «استير» كما تبنت نعمى أولاد يوعز وروث كما جاء في سفر صمويل ٨/٢١ ، ويرى بعض الباحثين ذلك مؤيدا لوجود التبني عند اليهود ، ويقول معارضو التبني من اليهود : إنه ليس في التوراة أي نص صريح عن التبني ، كما أنه ليس في الترجمة السبعينية أيضا شيء عن التبني ، ودليلهم فى ذلك هو إباحة الطلاق وجواز تعدد الزوجات ، فمن لم ينجب فعليه بالزواج من إمرأة ثانية أو ثالثة أو رابعة ، ونظام التبني المعروف عند اليهود هو نظام اشبه بالوصاية ولا يرث إلا بعقد توصية ، أما الإبن الطبيعي لا يحتاج لمثل هذا العقد .

الباب التاسع
التبني والمسيحية

تعتبر الشريعة المسيحية أن تعميد المولود تبنياً، حيث يقول رجال الشريعة عندهم أن التعميد يجعل المعمدين (أبناء الله) وأنهم سيرثون في الميراث السماوي .

فيما طائفة مسيحيي مصر الاقباط الارثوذكس تجيز التبني ، وذلك عكس ما تراه شرائع باقي الطوائف الأخرى من الكاثوليك والبروتستانت . كما يبطل التبني إذا طبقت الشريعة الإسلامية على الطوائف التي تجيز التبني ، حيث أن الإسلام قد ألغاه .

الباب العاشر
التبني والإسلام

الشريعة الإسلامية هي الشريعة الوحيدة بين جميع الشرائع التي حرمت (التبني) تحريماً تاماً ، صريحاً ، قولاً وعملاً ، وهو بذلك ينفرد بإزالة كافة الآثار السيئة التي تنتج من هذا النظام المصطنع ، والذي كان شائعاً في الأمم القديمة ومازال منتشراً في كثير من الدول الحديثة .

والقرآن المجيد قد بين ذلك الأمر بشكل قطعي بسورة (الاحزاب) ، وتحريم

الاسلام للتبني قد راعى طبيعة النفس البشرية ، وأنها لا تميل إلا لمن كان من صلبها ، وليست الأبوة والأمومة ألفاظاً تردد ، ولا عقداً يعقد .. لكنها رابطة حنان وشفقة وحب ، وارتباط لحم ودم ، فالولد الحقيقي إنما هو جزء من أبيه .

وكلمة « تبني » تعني أنه اتخذ ابناً ، أي اختار شخصاً ليعتبره كابن له ، بينما يقال لمن ولد له ابن ـ أنجب ـ أو : ولد له ولد ، وشتان ما بين الكلمتين .

الباب الحادي عشر

بدائل الإسلام عن التبني

عندما حرم الإسلام التبني قدم البدائل والعلاج بوسائل أخرى منها :

إباحة تعدد الزوجات لإعطاء فرصة للإنجاب ، كما أن الإسلام يؤكد على كل المسلمين أخوة فليس هناك ما يمنع اي مسلم للتقدم للزواج من مسلمة ، وبطبيعة الحال ربما فات المؤلف هنا الصراع الطبقي والقبلي الحاضر ، فمن متابعتي وكذلك معايشتي أجد بعض القبائل والعائلات بل والمناطق لا تقبل الزواج من غير القبيلة أو العائلة أو المنطقة ، نحن اليوم نرى أشياء ما انزل الله بها من سلطان ، ورغم ذلك نؤكد ان الاسلام قد قدم الحلول أمام تحريم التبني .

الباب الثاني عشر

حقوق المتبني وواجباته

لعل قانون حامورابي هو التشريع الوحيد الذي أعطى للمتبني حقوق وواجبات في المادة ١٩١ التي تنص على :

١ ـ حق المتبني في ثروة الأب بما يعادل ثلث ميراث الأبن الطبيعي .

٢ ـ لا يحصل المتبني على أي حق في حالة إنجاب الأب بالتبني ولداً طبيعياً .

٣ ـ للمتبني أن يحمل اسم الأسرة التي تكفلت به وبإعاشته ، كما

عليه أن يرعى الأسرة

وسفر اللاويين يشير إلى التبني في الإصحاح ١٨/١١ : « عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها أنها أختك » .

واستنتج بعض الباحثين أن المتبنيّ يعتبر المتبني له كأب ، وأمرأته كأم ، وأن ابنتها أختاً للمتبني ، وعلى هذا فلا يجوز له أن يتزوج بمن تعتبر أنها أخته .

الباب الثالث عشر والأخير

النظم الحديثة التي حلت محل التبني

هنا يفتح المؤلف نافذة لما تم في العصر الحديث للبديل عن التبني أو تنظيمه ويختتم بها هذا الكتاب المهم ، ومن أمثلة تلك النظم الملاجيء والمؤسسات وبيوت الأخوة ، وكلها تقوم بإيواء الأطفال الذين لا يعرف لهم أب ، بدلا من أن يأخذهم بعض الناس ليتبنوهم ، فتقوم هذه المنشآت بتربيتهم وتنشئتهم نشأة صالحة .

الختان
في الشرائع السماوية والوضعية

تأليف السيد محمد عاشور ، تاجر أقمشة بالحمزاوي بالقاهرة
الناشر / مؤسسة المصري للكتاب
طبع الكتاب بدار الإتحاد العربي للطباعة لصاحبها محمد عبد الرازق
الكتاب عبارة عن ٨٠ صفحة من الحجم المتوسط .

يتصدر هذا الكتاب إهداء المؤلف لقريبه الدكتور حاتم مصطفى عاشور مدرس جراحة العظام بكلية الطب جامعة الزقازيق ، ثم مقدمة يقدم من خلالها الشكر والعرفان لبعض من ساند فكرة الكتاب بالدعم العلمي أو بالمتابعة والتدقيق اللغوي .

الباب الأول
معنى الختان

الختان هو قطع للغرلة أو قطع جزء من القلب ، وقد عرف بعض العلماء الختان بأنه قطع جزء من القلب للتطهر ، وذلك بحسب ما جاء في سفر التثنية اصحاح ١٠ آية ١٦ « فاختنوا غرلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم بعد » ، وجاء أيضا في سفر التثنية : « اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان اورشاليم .
ويقول آخرون مثل العلامة تريليان : « ليس الختان بقطع جزء من لحم الجسم وإسالة الدم ولكن بالكلمة وانتشارها .
وكان العرب في الجاهلية يسمون من لم يختتن بالأقلف والأغرل أو الأغلف وكانوا يعيبونه ويعدونه ناقصا ، ويطلق على كلمة حتن بالحاء على الزوج عند عرسه ، وذلك لأن اليهودي لا يمكن أن يتزوج اليهودية

إلا إذا كان مختوناً كما أن الكلمة أطلقت على الزوج بعامة وإن كانت كلمة حتن بالحاء غير ختن بالخاء إلا أن الكلمتين من أصل واحد ومن هذا المعنى أطلقت كلمة حوتر على الصهر .

الباب الثاني

أنواع الختان

الختان نوعان : جسدي ومعنوي ، أما الختان الجسدي فهو ما عرفناه بقطع الغفلة ، وأما الثاني فهو تطهير النفوس والأرواح .

وقد قال أرميا ذلك عندما وجد الشعب اليهودي قد فسدت أخلاقه فقام يخطب فيهم مطالبا إياهم بأن يتمسكوا بالأخلاق القويمة وأن يصلحوا نواياهم وأن يتجنبوا النفاق والكذب ... وأن الكهنة والأنبياء لا يقلون فساداً عن عامة الشعب ولذا فهم في حاجة إلى أن يطهروا أخلاقهم وأن يختتنوا في أرواحهم كما يختتنون في أجسامهم .

الباب الثالث

أصل فكرة الختان

يعرض المؤلف هنا ملامح متعددة عن صور الختان ، ولكن لم يتفق العلماء حول أصل الختان ومتى بدأ : لذلك يورد لنا قول الشيخ عبد الوهاب النجار ، من كتاب قصص الأنبياء ص ١٢٥ : « جاء في إنجيل برنابا ان سبب الختان أن آدم لما عصى ربه نذر أن تقطع من نفسه عضوا إذا تاب الله عليه فلما قبلت توبته وأراد الوفاء بنذره اختار ماذا يصنع قد دله جبريل على هذا الموضع فقطعه ولعل أولاده تركوا هذه السنة حتى أمر الله إبراهيم باحيائها ، كما يرى البعض أن سيدنا اسماعيل ختن وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وقد عرفت الحبشة الختان كما عرفه أهل استراليا وبعض القبائل الأفريقية ، أما المصريون فالأدلة كثيرة على أنهم عرفوا الختان قبل أن يعرفه اليهود. كما أنها كانت ضرورة من ضروريات من يتولى منصب الكهانة ودخول المعبد المقدس

لأن الختان ضرورة صحية تضاف إلى سائر ضرورات الصحة التي تستلزم النظافة في كل أجزاء الجسم كما هو نظافة للأعضاء التناسلية .

يؤكد المؤلف انه لايمكن اعتماد العهد القديم مصدراً تاريخياً يوثق بما جاء فيه بعدما أثبت الباحثون والنقاد من أن العهد القديم كثرت فيه التعديلات والزيادات بفعل الكتاب مما أدى إلى اضطراب نصوصه وتضاربها فيما بينها فمثلا يرد في العهد القديم ما يفيد بأن الختان عرف من عهد إبراهيم عليه السلام ، ونجد في موضع آخر أن الختان عرف من عهد يوشع .

الباب الرابع

الختان علامة ميزة للشعوب

يشكك من جديد المؤلف فيما يدعي اليهود بأن الختان هو عهد بينهم وبين الله ، فيقول : إذا كان الله قد اختار لليهود الختان ميزة لهم دون سواهم فكيف نعلل إختننان الشعوب الأخرى التي سبقتهم إليه كمصر واستراليا وغيرهما ، وكما كان مع نوح عليه السلام إنتقلت فكرة الختان إلى المسيحيين فاتخذت شكل التعميد كما أن الكاثوليك اتخذوا نوعاً من الوشم مقابل هذه العادة . لذلك جاء في سفر التكوين عند الكلام عن قابيل وهابيل ما يأتي : « وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده » .

الوشم ـ استخدمه بطليموس السادس لمعرفة اليهودي من المصري في زمن البطالسة ، وهناك شعوب اخرى استعملت الوشم مع بعض التغيير ، وهو ما نراه جليا في وضع قرط بالأذن وكذلك بعض العلامات بالحرق أو بالجرح .

الباب الخامس

المرحلة الزمنية من العمر التي يتم فيها إجراء عملية الختان .

زمن الختان عند اليهود يكون باليوم الثامن من عمره طبقا لما جاء في

التوراة .

[هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في اجيالكم وليد البيت والمبتاع بفضه من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختان وليد بيتك والمتباع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبديا . وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه نكث عهدي] .

لكن هناك من يعارض تلك القاعدة الخاصة ويؤجلون الموعد إذا كانت صحة الطفل تتأثر بالختان . كذلك سكان الجنوب الغربي من بلاد العرب يحددون أياماً معينة من الشهر يكون الختان فيها مفضلا كاسابع والرابع عشر والواحد وعشرين والثامن والعشرين .

وأما بعض شعوب شرق أفريقيا فيختنون الطفل في الشهر الأول أو الثاني من ولادته . ولكن الفرس المسلمين فكانوا يختنون الطفل في السنة الثالثة من ولادته . وكذلك يفعل الأقباط على أن بعضهم يختار الزمن قبل تعميد الطفل .

والفيجيون يفضلون السنة السابعة من الميلاد للختان وبعض القبائل ترجىء ذلك لسن البلوغ ولتضارب كل تلك المواعيد تم عقد العديد من المؤتمرات الطبية المتخصصة .

يصاحب عملية الختان حفل تختلف باختلاف الشعوب وكذلك أدعية . والمشهور عن اليهود السفارديم (يهود الشرق) يقرأون المزمور نمرة ١٢٨ من مزامير داود وهم وقوف بحسب ما جاء في سفر الملوك الثاني (١٣/٢) .

الباب السادس

أسباب الختان

اورد المؤلف في هذا الباب العديد من الأسباب للختان منها :

١ ـ تعتبر بعض القبائل ان الختان علامة مميزة لأبنائها .
٢ ـ يعتبر بعض العلماء ان الختان نوع من القربان الذي يقدمه الإنسان لربه .
٣ ـ الختان لأغراض صحية كما مارسه المصريين .
٤ ـ الختان حيلة لإطالة اللذة الجنسية .
٥ ـ تخفيف لفكرة الإنتحار أي إضاعة جزء من الجسم بدلا من إضاعة الجسم كله .
٦ ـ علامة مميزة بين طوائف الشعب .
٧ ـ شرط من شروط الدخول والانتماء لبعض القبائل أو المعتقدات .
٨ ـ نوع من الطهارة خاصة عند المسلمين .
٩ ـ احد العادات والتقاليد لبعض القبائل .
١٠ ـ الختان لغرض الزواج

ومن أغرب ما نوه عنه الكاتب في هذا الكتاب هو (الختان مدلول قومي ديني) : قلنا إنه إذا مات الطفل قبل سبعة أيام من ميلاده فإن جثته تختن ويعطى أسما عبريا ليكتسب الهوية اليهودية ، وهكذا يفقد الختان أي دلالة صحية أو إنسانية عامة ويصبح مدلوله قومياً دينياً محضا .

الباب السابع

الختان وعلاقته بالتضحية

يرى بعض العلماء أن الختان تضحية صغرى أي أن التضحية تطورت حتى أخذت شكل الختان ، فكانت التضحية هي الأساس وكانت هي القربان في العصور السحيقة فكان إذا حزب الأمر الجلل ضحى الشعب ببعض أطفاله قرباناً ، وقد فعل الفينيقيون ذلك حيث يحضر الآباء في زينتهم وكأنهم يوم عيد ودقات الطبول واصوات المزامير تغطي على صراخ أطفالهم وهم يحترقون في حجر الآلهة .
على أنهم كانوا عادة يكتفون بتضحيات أقل من هذه وحشية ، فقد كان

الكهنة يضربون أنفسهم حتى تلطخ دمائهم جدران المذبح أو تفتدى حياة الطفل بغلفته ، أو ينزل القساوسة من عليائهم فيقبلون مبلغاً من المال يقدمونه للآلهة .
والمعارضون لفكرة العلاقة بين الختان والقربان فهم ينظرون للختان بأنه ليس قربان لأن عملية الختان لا يقوم بها كاهن وإنما طبيب ولا تتم في المعبد وإنما بالمنزل أو العيادة والمستشفى ، وأن الدم المسال من عملية الختان لا يرش على حائط المعبد كما هو الحال في نصوص التوراة .

الباب الثامن
موقف الشريعة اليهودية من ختان البنت
نصوص التوراة لم يرد بها مايشير إلى ختان البنت مطلقا بل إن كل نصوص التوراة كانت تشير إلى الذكور منهم دون الاناث .
« وختن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره اللّٰه » . (تكوين ٤/٢١).
وليست الشريعة اليهودية وحدها التي تمنع ختان الأنثى بلاد إسلامية تمنعه كما يؤيد الدين والطب أهمية عدم ختان البنت من حيث أنها عملية تحرم البنت حقاً من أخص حقوقها الإنسانية في الحياة الزوجية الطبيعية .
أما المسيحيين يقولون ليس لدينا في الدين ما يفيد بإجراء الختان للأنثى وانما هي عادات أفريقية وفرعونية قديمة .
وعن النتائج السيئة لختان البنت يوضح لنا المؤلف بعض منها فيما يلي :
الاضرار النفسية التي تصيب البنت غدرا ، وكذلك الأضرار الصحية التي تصيب الأجزاء الحساسة ، وكذلك أصابة مجرى البول .
يقول الجاحظ : والبطراء تجد من اللذة ما لا تجده المختونة فإن كانت مستأصلة مستوعية كان على قدر ذلك فإن شهوتها إذا قلت ذهب

التمتع ونقص حب الأزواج .

الباب التاسع

الدول التي مارست الختان

اشتهر في بابل نذر العفاف أو الدعارة الدينية والبغاء المقدس ، وفي التراث عن المجتمعات القديمة ان الختان ، وهو عادة سامية تعني التضحية بجزء من عنصر الذكر لهذه الآلهة ، فهل يقصد بذلك أنه طالما المرأة قد ضحت بعفافها نذراً للآلهة ؟ فعلى الرجل أن يضحي كذلك بجزء من عضوه الذكري نذرا للآلهة . أي أن الختان ليس لغرض صحي عن طريق النظافة بل هو نوع من القربان .

السوريين والأدوميين والعمونيين والمؤابيين والإسماعيليين كانوا يختنون ، وجاء في كتاب الفكر الإنساني للاستاذ احمد سليم سعداوي : كان المصريون يختنون الأطفال ويراعون النظافة في حين كان السومريون يعتقدون أن كل مرض عقاب من الرب أو عبث عفريت وعلاجه هو التوسل والضراعة والعزاء .

أخذ اليهود كثيرا عن المصريين في عاداتهم وتقاليدهم وحليهن كما تنص التوراة ، وكان الختان ضمن ما اكتسبه اليهود من المصريين .

كذلك عرف سكان القرن الأفريقي الشرقي بين الحبشة ومضيق عدن الختان ، ثم الآراميون والاسرائيليين وهما شعبان ساميان يختنون أطفالهم ولم يمارس الفلسطينيون قديما الختان وكان ذلك واحداً من الأسباب التي منعت اختلاط اليهود بالفلسطينيين .

ويرى بعض العلماء أن عدم اختتان الفلسطينيين يرجع إلى عدم كونهم ساميين إذ أنهم جاؤا من جزيرة كريت أو من بحر إيجه فلم تكن عادة الختان معروفة لديهم فقد ورد في التوراة ما يأتي : « ليست مسرة الملك بالمهر بل بمائة غلفة من الفلسطينيين للإنتقام من أعداء الملك » .

لم يكن الختان معروفاً بالهند ولا بلاد المغول .

تعمد بعض القبائل في الهند وافريقية إلى إقامة حفلات تكريس

للصبي دليلا على أنه بلغ درجة الرجولة ، وفي هذه الحفلات تقرر القبائل الختان إذ يعتبر أهم عنصر لشعائر حفلات التكريس عند معظم الشعوب والقبائل البسيطة ، وكذلك عند الهنود الحمر .

الباب العاشر

الختان في الشرائع السماوية

ظل اليهود يمارسون الختان حتى وهم تحت وطأة السبي البابلي مما كلفهم الكثير من المصاعب والمصائب ، وعندما حرم الحاكم اليوناني انتيوخس الختان ، كان اليهودي يختن نفسه بنفسه ، بل أن حرب قامت بين اليهود والرومان بعدما اصدر الامبراطور الروماني هادريان امراً بمنع الختان ، واشعل الحرب القائد اليهودي (باركوخبا) ، ثم وجد الأباطرة الرومان أنه من الأفضل عدم التدخل في أمر هذه العادة ، فأعاد الامبراطور « أنطونيوس » امتيازهم في ممارسة الختان .

الدولة المسيحية في عهد الامبراطور هرقل شهدت تحول إجباري لتحويل اليهود إلى المسيحية بعد أن أمر بتعميد الشعب نتيجة لرؤية انه سوف يقوض عرشه وان شعباً مختوناً سيثور عليه ويهزمه .. كما نرى أن بولس الرسول قد أعفى المسيحيين من الاختتان حتى أصبح من يختتن ، ومن لا يختتن متساويين .

الختان عند العرب في الجاهلية وفي الاسلام ، ففي الجاهلية كان معظم العرب وثنيين يختتنون ما عدا من يدين بالنصرانية .. وهناك من يعترض من علماء المسلمين على وجوب الختان بأنه لم يرد نصا يوجب ذلك كما هو عند اليهود وليس هناك وقتا محددا بالزمن والغالب الأعم بين المعرضين للختان والمؤيدين له أنه صحيا وتطهرا هناك قصة طريفة اوردها المؤلف في ص ٥٦ من الكتاب ، يقول : جاء وفد من أهل خراسان بمناسبة دخولهم الاسلام ورفع الجزية عنهم ، وقالوا إن هناك نقاشا بينهم وبين الوالي وأنهم جاءوا إلى الخليفة ليحكم بينهم وبين الوالي في خراسان ، وكان رد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن

كتب إلى الوالي ويدعى الجراح بن عبد اللّٰه « أنظر قيلك والقبلة فضع عنه الجزية فكان من نتيجة ذلك أن سارع الناس إلى الإسلام فقل الخراج لدخول الناس في الإسلام حباً فيه ونفوراً من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب في ذلك إلى عمر فرد عليه عمر قائلا : « إن اللّٰه بعث محمداً صلى اللّٰه عليه وسلم داعياً ولم يبعثه خاتناً » .

الباب الحادي عشر

مناقشة الختان

يستعرض المؤلف في هذا الباب معظم الآراء التي جاء في الكتاب للمؤيدين والمعارضين للختان دون التفاصيل في المسائل الشرعية ولكن الأراء المبنية على التحبيذ من الناحية الصحية وتفنيد رأي المعارضين وكذلك التطرف في التنفيذ عند اليهود الذين يرون انه من الواجب إجراء الختان على الطفل ما بلغ الثمانية أيام ومن يموت قبلها يختتن أيضا وهو ميت ، ثم تطور الفكر اليهودي بعد ذلك وباقي المجتمعات التي تعتبر تلك العادة بها الكثير من الوثنية والغير ملزمة لأحد خاصة ختان البنات وما يلحقهن من أضرار صحية ونفسية ، وينتهي الكتاب بإستعراض أهم المراجع التي كانت عونا على هذا البحث الشيق والذي يحمل الجديد والطريف والمدهش .

الصوم

في الشريعة اليهودية

تأليف السيد محمد عاشور ، تاجر أقمشة بالحمزاوي بالقاهرة
الطبعة الأولى ١٩٧٩م .. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
طبع الكتاب بدار الاتحاد العربي للطباعة لصاحبها محمد عبد الرازق
الكتاب عبارة عن ١٤٤ صفحة من الحجم المتوسط .

الباب الأول

الصوم ومعناه

الفصل الأول ـ الصوم ومعناه .

هذه الفريضة التعبدية لها أهمية خاصة وحكمة سامية فرضت لصالح الإنسان وسعادته ، فما هو الصوم ؟

يورد المؤلف عدة تعاريف للصوم منها ما يلي :

ـ الامساك عن الطعام والشراب والامتناع عن الملذات لفترة معينة .

ـ الامساك عن تناول كل الأطعمة وعدم وصولها إلى الجسم لمدة محدودة .

ـ الصمت او الامساك عن الكلام . وصامت الريح أي امسكت عن الهبوب ، وكذلك الخيل صامت اي امسكت عن الجري والحركة . .

ـ الامتناع عن الأكل والشرب

الفصل الثاني ـ نشأة الصوم وأسبابه

كان الانسان في الازمنة القديمة قد تعرض لبعض الظواهر وراح ينظر لها بقدسية كبيرة وتوجه لعبادتها هي وبعض الحيوانات ، وقد عرفنا من التاريخ ما كان يقدمه الإنسان من طقوس وقرابين لتلك الآله التي عبدها ، ولقد امتنع عن تناول بعض اللحوم لحيوانات ظن انها سوف

تطارده ، ومع تطور الزمن والكف عن تناول اطعمة بعينها ما يسمى بالصوم ، وكان الصيام في بادىء نشأته يعتبر نوعا من أنواع الكفارات والتوسلات والإبتهالات التي تحتاج إلى تقديم قرابين ، فقد كان الناس ينحرون الذبائح ويقيمون الصلوات بدلا من الصيام ، ومن هنا نشأ الخلاف بين اليهودية والمسيحية حول فكرة الفدية رالكفارة والصوم ، فالمسيحية أخذت بفكرة الفدية بالدم أما اليهودية فقد تمسكت بفكرة الكفارات والتي منها الصوم عملا بما جاء في سفر أشعيا النبي ١/٧ ـ ٣ ، وكذلك في سفر زكريا ٧ / ٥ :

« قل لجميع شعب الأرض وللكهنة قائلا لما صمتم ونحتم في الشهر الخامس والشهر السابع وذلك في هذه السبعين سنة فهل صمتم صوما لي أنا »

أما نشأة الصوم بحسب الأديان السماوية الثلاثة فهي فريضة فرضها الله على عباده لمصلحتهم ووجب على الإنسان تأديتها ، كما يخبرنا الله سبحانه وتعالى ان هذه الفريضة ليست خاصة بدين من الأديان ولكنها فرضت على جميع الأمم التي جاءت قبلنا ، يقول الله تعالى :

{ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعده من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون } سورة البقرة آية ١٨٢ .

ولعل المؤلف اراد الاستزادة من تعظيم قيمة الصيام فاورد بعض اسباب الصيام نلخصها في ان الصيام لأجل منفعة ورفعة لمنصب قد يتطلب ذلك في التأمل والعبادات وكذلك الصيام للخوف والحزن والصيام للإستسقاء وطلب المطر ، والصيام حزنا على ميت أو للندم على فعل وكفارة وللكسوف وتجنب الكوارت ، تلك كلها من أسباب الصيام ولعل أهدافة لا تبتعد كثيرا عن أسبابه .

الفصل الثالث

أنواع الصيام

هذا الفصل من الباب الأول بالكتاب يضع تقسيم للصيام إلى أنواع عدة منها :

- من حيث الوجوب والاختيار . والصيام الواجب عند المسلمين هو صيام رمضان ، وكذلك في حالة كفارة اليمين وباقي الكفارات ، أما صيام اليهود فهو صيام كيبور ومدته يوم واحد ، وصيام الأربعين هو الصيام الواجب عند المسيحيين .
- الصيام من جهة الامتناع عن الأكل والكف عن الكلام ، كما ان المسيحيين يصومون عن أنواع معينة من الطعام كالتي بها روح مثل اللحم والدجاج والسمك .
- الصيام بالكف عن العمل البوذيين لديهم أربع أيام قمرية يصومون فيها عن العمل وكذلك يوك كيبور لدى اليهود لا يجيز العمل بهذا اليوم . ويطلق عليه صوم رياه ، وهناك صوم آخر لليهود لم يذكر في اسفار موسى الخمس وانما قال به أنبياء بني اسرائيل وهو صيام تعنيت .كما يوجد أيضا الصيام التطوعي والصوم المعنوي .

هناك أنواع أخرى تأتي بتقنينات محددة وأيام معينة منها الصوم المقنن والمفروض والخاص .

الفصل الرابع

أوقات الصوم (زمن الصوم)

الصيام كأي عبادة من العبادات له وقت بداية ووقت نهاية ، فعند الهندوس ممن يقدسون الشمس كان وجوب الصوم لديهم منذ غروبها حتى تبزغ ، وصوم كيبور عند اليهود يبدأ قبل غروب شمس اليوم السابق ليوم الصوم وينتهي بعد غروب يوم الصوم بما يقرب النصف ساعة مع ظهور أول نجم في السماء ثم يضرب بالبوق كعلامة إنهاء الصوم .

أما الصيامات الأخرى عند اليهود فتبدأ منذ شروق الشمس حتى غروبها

. وأما الصيام عند المسيحيين يبدأ من منتصف الليل حتى الساعة الثالثة مساء وقد يمتد إلى غروب الشمس ، وذلك متوقف على قدرة الصائم نفسه . وكان داود عليه السلام يصوم يوما ويفطر يوما ، والصيام عند المسلمين يقع في شهر رمضان ويستمر ثلاثين يوما أو قرابة شهراً قمرياً .

ويبدأ الصيام برؤية الهلال في أول الشهر فإن لم يره المسلمين يكتمل شهر شعبان ثلاثين يوما ويكتمل الصيام برؤية هلال الشهر التالي ، وهو شهر شوال ويكون أول شوال هو أول أيام العيد .

الباب الثاني

مبادىء أخلاقية للاستعداد لفريضة الصيام

الفصل الأول

الاستعداد للصيام

ليس المقصود طبعا الامتناع عن الاطعمة والأشربة وكل ما تلذ به النفس وانما ترويض النفس على وضع مباديء خلقية نتعهدها ونتعودها لشهر الصيام .

من تلك المباديء سوف نرى أنفسنا نتمسك بما يلي : الزهد ، التقشف ، الامتناع ، التحريم ، القناعة ، التسامح ، البر والإحسان ، التعفف .

الفصل الثاني

التقشف

التقشف وقمع النزوات وقهر النفس يؤدي بالشخص إلى التعود على الصبر على عدم تناول الأطعمة ثم إذا صام بعد ذلك فيصبح قادرا على الصوم .

واعتبر بعض علماء الشريعة اليهودية الصوم كوسيلة للتقشف يمارسها الناسك لتطهير نفسه ، كما يحرم بعضهم التقشف على النساء وخاصة الأرامل والعذارى بل ذهب هؤلاء العلماء إلى القول بأن ليس من حق الفرد أن يذل نفسه بالصوم خشية أن يصبح عبئا على

المجتمع الذي سيضطر حينئذ أن يساعده .

الفصل الثالث

الإمتناع

الإمتناع عن بعض الأطعمة المتاحة هو أسلوب من أساليب الإعداد للصيام . والإسلام يحض على الامتناع بطريق غير مباشر تمهيدا للصيام .

يقول سيدنا محمد صل الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاءا شراً من بطنه » ويقول أيضا صلوات ربي وسلامه عليه : « المعدة بيت الداء والحمية الدواء » ويقول : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » .

والدين اليهودي يحث أتباعه على الامتناع عن بعض الأطعمة والمشروبات حفظا للجسم والصحة والروح (سفر أشعيا ١٨/١٤) .

وحثت المسيحية على التمسك بمبادىء الامتناع واعتبرته نوعا من الصيام وإن كان أقل قسوة . وبذلك تعترف المسيحية بأن هناك علاقة بين الصوم والإمتناع . وانه مقدمة للصيام غير ان الكنيسة الرومانية تفرق بينهما . ففي يوم الامتناع يحرم تناول اللحم . ولكن بدون تحديد لكمية الأغذية عكس يوم الصيام فإن الكمية فيه محددة .

وعرفت مصر الفرعونية الإمتناع . لكن الامتناع بين الكهنة لم يكن بدرجة واحدة لأن كل أقليم كان له عاداته وتقاليده الدينية إلا أن الامتناع تحديدا كان ممارسا بين الكهنة .

الباب الثالث

المرأة والصيام

الفصل الأول

الديانة اليهودية والمرأة

في الفصل الأول من هذا الباب يؤكد المؤلف على فرض الصيام في

الديانة اليهودية على البنت متى بلغت الحادية عشر من عمرها .
والمرأة عليها أن تصوم أيضا وجاء ذلك في سفر يهوديث ٦/٨ « ومنذ رملت كانت تصوم ماعدا أيام السبوت » . وكما جاء في انجيل لوقا ٣٧/٢
.ولكن من جهة أخرى نرى أن الحاخاميين يحرمون التقشف على النساء وذهبوا لأكثر من التحريم فأعلنوا أنه (ليس من حق الفرد أن يذل نفسه بالصوم خشية أن يصبح عبئاً على المجتمع الذي سيضطر حينئذ أن يساعده).
وهنا نجد تناقضاً بين ما جاء في سفر يهوديث وما جاء على لسان الحاخاميين .
أما لماذا هذا التناقض فإن رجال الشريعة اليهودية يرجعوا ذلك للحيض ووقته وحالة الولادة والتنبيه على الرجل بعدم الإقتراب من المرأة في ذلك الوقت .

الفصل الثاني

النذر وعلاقته بالصيام عند اليهود

يعرف الراغب الأصفهاني النذر بقوله : « هو أن توجب على نفسك ماليس بواجب لحدوث أمر » فهو التزام بعمل أو بإمتناع عن عمل تحت دافع ديني .
كل نذر وكل قسم التزام لإذلال النفس زوجها يثبته وزوجها يفسخه .
(ابن ميمون ١٢/٦) و (مزمور ١١٦) .
مما سبق يمكن للزوج أو الأب تعطيل نذر المرأة أو البنت إذا نذرت إحداهما صياما وهذا لا شك لا يرضى عنه دين إذ هو تعطيل لفرض من فروض الله وليس هناك طاعة لإنسان في معصية الله .

الفصل الثالث

متى يكون الصوم محرما

تم تحريم الصوم عند اليهود في عدة حالات منها : أيام السبت ، وأيام

الأعياد ، وعند الحائض ، والحاخاميين يحرمونه على المرأة والأرامل.
كما أنهم يعطون إعفاءات مؤقتة للشيوخ والمرضى والحامل والمرضعة ، والحائض حتى تتطهر ، والأطفال حتى يصلوا لسن معينة ، ورجال الشريعة المنشغلون بالبحث الديني .
والمكروة من بعض الأعمال أثناء فترة الصيام عند اليهود منها : يكره الزواج في فترة الصيام ، كما يمنع بعض اليهود حلاقة الذقن ، لا يغتسلون قبل شروق الشمس بساعة حتى اليوم التالي ، كما يكره أكل اللحم عند بعض الاسرائيليين ويكتفي بعضهم بأكل البقول .
وفي المسيحية يحرم الصوم يوم الأحد ، وأيام الأعياد ، الفترة المسماة بالخماسين « البانتا كوستا » وهي التي تبدأ من بعد عيد القيامة حتى خمسين يوماً . وكذلك عيدي البشارة والميلاد .

الباب الرابع

الصوم في الأديان السابقة للإسلام

الصوم عند الصابئة : ثلاثون يوما تبدأ مع شهر مارس ، ويصومون أيضا تسعة أيام أخرى في شهر ديسمبر ، وكذلك سبعة أيام من شهر فبراير، أي أنهم يصومون ٤٦ يوماً

الصوم عند مانو :

مانو هو فيلسوف فارسي ولد في القرن الثالث الميلادي وخرج بديانة تنافس ديانة زرادشت ، وانتقل للهند ثم رجع إلى فارس ، وكان الصوم عند هذه الطائفة مرتبط باكتمال نور القمر وإذا أهل الهلال يفطرون عند غروب الشمس وفي الغالب كانو يصومون يومي الأحد والإثنين من كل أسبوع وكذلك سبعة أيام من بداية الشهر ، ولم يكن الشعب يصوم على طريقة واحدة حيث تم تقسيم الشعب إلى طبقتين .
١ ـ طبقة الصديقين والسماعين ، يحرم على طبقة الصديقين أكل لحم الحيوان وطبخ الخضروات ، وحرم عليهم شرب الخمر ولا يكون لديهم سوى طعام واحد وكساء واحد ، أما طبقة السماعين فكانت التكاليف

أيسر ولكن عليهم صيام سبعة أيام من كل شهر .

الصيام عند البراهمة :

الصيام لديهم هو تهذيب للروح ، ولعله فرض على الكهنة فقط فقد كان البراهمة يكثرون من تناول الطعام ويرفضون فكرة الصيام . وإن كان وجوب الصيام في بدايات أو أوائل الفصول الأربعة .

الصيام عند البوذيين :

فرضت الديانة البوذية على معتنقيها صيام أربع أيام من كل شهر قمري وهذه الأيام هي اليوم الأول والتاسع والخامس عشر والثاني والعشرين وهي منازل القمر الأربع ، واوجبت فيها الراحة التامة وعدم العمل .

ولم يكن ذلك فقط فقد عرفت البوذية صيام النسك ، وهو الإقلال من الطعام وإذلال الجسم لأن الجسم هو مصدر كل شر .

الصوم عند البابليين :

كان لدى البابليين مزامير مملوءة بمعاني الندم ، وكان يصحب هذا الصيام مظاهر الحزن على ما ارتكبوه من آثام فكانوا لا يأكلون ولا يشربون الماء النقي وكانت هناك أيام للصيام محدده خصوصا عندما يحل بالبلد مصيبة .

الصوم عند الآشوريين .

صام الآشوريون ونعرف ذلك من قصة سيدنا يونس والذي اسمه في التوراة يونان ، وقد أرسل إلى شعب نينوى عاصمة الآشوريين وقد صام الشعب وصامت الجيوانات أيضا ، كما جاء في سفر يونان : « فآمن أهل نينوى بالله ونادوا يصومون وليسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم » ٥/٣ .

الصوم عند المصريين .

كان المصريين القدماء يصومون في أعيادهم وخصوصاً الأعياد الدينية ، وكان الكهنة يصومون من أسبوع إلى ستة أسابيع كل عام .

كذلك كان المصريون يصومون قبل دخولهم المعبد لتقديم القرابين إلى إزيس .

الصوم عند الفينيقيين .

لقد عرف الفينيقيين الصيام ووصفوه في أثارهم كما جاء في التوراة نتيجة لإختلاطهم بمصر والدول السامية المجاورة . ولم يكن الصوم بطبيعة الحال حكرا على اليهود .

الصوم عند الفرس :

حرمت شريعة الفرس الصيام على العلمانيين والعوام واوجبته على رجال الدين لمدة محدودة فكان الصوم في اليوم السادس عشر بعد أن يكون القمر بدرا . وكذلك عند ظهور الهلال .

الصوم عند اليونان :

صيام اليونان في اليوم الثالث من كل شهر وكذلك قد يمتد لثلاث أو ستة أيام بدون انقطاع . كما يصومون يومين أو ثلاثة بعد تشييع الميت . وربما هذا تقليد أخذوه عن مصر وكذلك كانوا يصومون قبل الحرب .

الصوم عند الرومان :

لا يختلف بل يتطابق مع صيام اليونان .

الفصل الثاني

الصوم في المسيحية

المسيح عليه السلام لم يترك لوائح خاصة بتنظيم الصيام بل قامت الكنيسة بتنظيم هذه اللوائح كما جاء في لوقا « أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيه » (لوقا ١٢/١٨) .

وقد فرضت الديانة المسيحية الصيام على معتنقيها أن سيدنا عيسى عليه السلام صام أربعين يوما . وقد جاء في إنجيل متى (إصحاح ٢/٤). « فبعد أن صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيراً » .

والمؤلف يسلط الضوء عند موقف الفريسيون من الحواريين بأنهم لا يصوموا مثلهم . هنا ينبه ان فكرة الصوم كانت موجودة عند الفريسيين الذين ظهروا قبل المسيح بقرنين وظلت تلك الطائفة حتى ظهور المسيح وكانت تظهر بمظهر المحافظ على الديانة فتتظاهر بالصوم والصلاة وتربية الذقن إلا أنهم في الحقيقة مرائين كما وصفهم المسيح .

الفصل الثالث

الصوم في الديانة اليهودية

الصيام في الديانة اليهودية أحد الطقوس التي يمارسها اليهود كما امرتهم التوراة وحددت لها أوقات . وأول ما نقرأ عن الصيام عندهم هو أن سيدنا موسى لكي يذهب ليتلقى الألواح من ربه كان عليه أن يتطهر ويصوم عددا من الأيام . سفر الخروج (٢٨/٣٤) . وجاء في سفر التثنية ٩/٩ :

« حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحى العهد الذي قطعه الرب معكم أتممت في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة لا آكل خبزاً ولا أشرب ماء » .

وقد أخبر القرآن الكريم عن صعود موسى الجبل وكيف أنه مكث أربعين ليلة وكان يصوم هذا الوقت .

يقول الله تعالى : { وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة } سورة الأعراف ١٤١ .

الفصل الرابع

الكيبور أو عيد الغفران عند اليهود

الكيبور عيد عن اليهود . وهو يوم واحد بالسنة ووجوب الصيام فيه لكل الناس رجال ونساء وأولاد حسب الشريعة اليهودية . وجاء في سفر العدد ٧/٥٩ ـ ١١ ما يأتي :

« وفي عاشر هذا الشهر السابع يكون لكم محفل مقدس وتذللون أنفسكم عملاً مالا تعملون وتقربون محرقة للرب رائحة سرور ثورا واحدا ابن بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة تكون لكم » .

يقول المؤلف ان اليهود حولوا كلمة تذلل إلى صيام . ثم أن كيبور اصلها في اللغة السامية kipper كبر والتي تتقابل مع كلمة كفر أو غطاء باللغة العربية وهي بالانجليزية Cover وفي الفرنسية Couvre .

مدة صيام كيبور . في الغالب يبدأ عشية يوم الصيام أي يبدأ عند غروب اليوم السابق ليوم الصيام ثم يستمر الصائم طول الليل والنهار حتى بعد غروب شمس اليوم بحوالي نصف ساعة ولكن يحدد هذه النصف ساعة بظهور أول نجم في السماء فإذا ظهر وهو عادة مايظهر هذا النجم

فحينئذ يضرب بالبوق ويكون إيذاناً بالإفطار ، وتبلغ مدة الصيام على أساس هذا التحديد ٢٥ ساعة تقريباً .

المعروف أن علماء اليهود ما كانوا يهتموا بيوم كيبور قبل السبي البابلي وكان مجرد يوم للاستغفار .ويخرج اليهود كبيرهم وصغيرهم إلى المعبد وهذا لا يحدث إلا يوم كبور .

الباب الخامس

الصيام في الإسلام

الصوم في الجاهلية

كان الصيام معروفاً في الجاهلية فنرى رجلا مثل خالد بن سنان العبسي وكان كبير قومه يأمرهم بالصيام، وكان كلما صام اعتزل الناس .

كانت عاشوراء تصام قبل نزول القرآن ويقول بعض المفسرين إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم مع بعض المسلمين ثلاثة أيام من كل شهر بعد الهجرة ثم نسخت بشهر رمضان .

الفصل الأول

الصوم ومعناه في الإسلام

لا يتحقق الصيام في الإسلام أياً كان نوعه إلا بالامساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية الصوم .

فرضية الصيام في الإسلام :

فرض الله الصيام على المسلمين وحدد وقته وبين لهم كيفية تأديته ،

كما جاء الصيام مؤكدا في السنة النبوية الشريفة

الفصل الثاني

صوم شهر رمضان

جاء ذكر الصيام في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف .. يقول الله تعالى :

{ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى

والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر } .

وفي الحديث الشريف :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

متى نصوم ؟ .. صوم رمضان إجماعا عند التأكد من دخوله ، وذلك إما برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان إذا كانت السماء صحو وخالية مما يمنع الرؤية أو باكمال شعبان ثلاثين يوما ، إذا تعذر رؤية الهلال .

وقت الصوم .. يبدأ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى : { وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل } .

الفصل الثالث

الصيام المحرم والمكروه في الإسلام

يحرم الاسلام ان يقترن الإسلام بالكف عن الكلام المطلق ، كما يحرم صيام يومي العيدين (عيد الفطر وعيد الأضحى) وأيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد عيد الأضحى .

ويحرم الإسلام على الحاج صيام يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة وإن كان صيام ذلك اليوم سنة لغير الحاج ويستفاد من بعض الأحاديث كراهة إفراد يوم الجمعة ويوم السبت بالصوم .

الاعذار المبيحة للفطر : يباح ترك الصيام للمريض والمسافر سفراً طويلاً تقصر فيه الصلاة ، وللحائض والنفساء بل يجب عليهما الإفطار ، ولا يصح الصوم منهما . وللحامل وللمرضعة ولو مستأجرة ، أما المستحاضة فهي تصوم كما تصلي .

والشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم له ان يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا من اوسط ما يأكل ولا عليه قضاء بل عليه فدية .

أنواع الصيام : خمس ١ ـ صيام رمضان .

٢ ـ صيام القضاء : وهو ما يجب على المسلم بدلا من الأيام التي

أفطرها .
٣ ـ صيام النذر .
٤ ـ صيام الكفارة : في أحوال القتل الخطأ ، وطلاق الظهار ، والحنث في اليمين ، ارتكاب بعض المحظورات .
٥ ـ صيام التطوع كصيام الأثنين والخميس والتاسع من محرم .

الباب السادس
التقويم أو تحديد أوقات الصوم
الفصل الأول
أوقات العبادة

فرض الله سبحانه وتعالى على عبادة فروضاً متعددة مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة .
ومن رحمة الله بعباده أن حدد لذلك أوقات للقيام بها .
ولكي نقترب من تعريف التقويم ، نقول : أن التقويم هو عمل الجداول المتعلقة بدراسة حركة الكواكب والشمس والقمر ويسمونها في مصر النتيجة ، وفي اللغة الإنجليزية Calendar وبالفرنسية Calendrier كالندرية وهي مشتقة من كلمة Galare اللاتينية بمعنى دعا ، وذلك أن رئيس الكهنة في روما كان يدعو الشعب أول كل شهر للإطلاع على لائحة الأعياد التي يحصلون فيها على عطلات رسمية .
مصر : اهتمت مصر بالتقويم منذ العصور الأولى ، وعلى وجه التحديد سنة ٤٢٤٠ ق . م وكان كهنة رع في مدينة هيلوبوليس (عين شمس) الحالية يقومون بهذا العمل ، وقد قسموا السنة إلى ثلاث فصول . وكل فصل أربعة أشهر . وكل شهر ٣٠ يوم بمجموع ٣٦٠ يوم وكانت الأيام الخمس الباقية تسمى بالشهر الصغير .
أما في بابل : كانت تقاويمهم متنوعة فمنها ما هو خاص بالعبادة والأعياد الدينية ، ومنها ما كان خاصاً بسير الفصول وشروق الكواكب وغروبها ونوع ثالث خاص بالمناخ والحاصلات والجدب والخصب ، وكان اليهود في بادىء الأمر يتبعون نظام السنة القمرية إلا أنهم بعد

السبي البابلي غيروا هذا النظام وساروا على أساس السنة القمرية ونتج عن ذلك أن أصبحت السنة عندهم في بعض الأوقات ١٣ شهراً بدلا من ١٢ شهراً .

الفصل الثاني

التقويم القمري والتقويم الشمسي

التقويم القمري هو أن تتبع الدولة نظام السنة ١٢ شهراً قمرياً فقط وعلى أساس أن كل شهر يتحدد بظهور هلال كل شهر والشهر الذي بعد فمثلا إذا ظهر هلال شعبان ثم هلال رمضان فيكون أيام شهر شعبان هي الأيام التي وقعت بين الهلالين ، وهكذا تكون السنة ١٢ شهراً لا زيادة فيها ولا نقصان ويحددها هلال الشهرين المتتابعين ، والشعوب الإسلامية تسير على هذا النظام عملا بما جاء في القرآن الكريم .

أما التقويم الشمسي فلا يأخذ أساساً بالشهر القمري وإنما يأخذ بالشهر القمري مع أساس أن السنة ٣٦٥ يوماً .

الفصل الثالث

النسيء وعلاقته بالصوم

النسيء هو كل زيادة في أيام السنة ، وكذلك ما زاد في الشهور القمرية ، والتي عددها ١٢ شهراً قمرياً .

وهدف التغيير في النسيء وارتباطه بالصيام على ان يكون شهر الصيام في وقت يتناسب والمناخ أو في الشهر الذي يوافق مزاجهم وليس على حسب إرادة الله . فلما آمن الناس بذلك وارتضاه الله للمسلمين ولمن آمنوا به وبكلامه أن يقع رمضان في أوقات مختلفة من السنة ، وفي ذلك مصلحة لعباده .

الفصل الرابع

رمضان والتقويم عند العرب

يقول بعض المؤرخين امثال البيروني والمرزوقي إن العرب كانت تعتمد على النجوم في تحديد أوائل السنة ، ومن تلك النجوم الشعري اليمانية ، وسهيل وهو اسطع الكواكب نورا ، نجمي السماك الأعزل ، والثريا وقد

أطلق عليه العرب النجم .
وكانت العرب تنزل هذه النجوم منازل جليلة حتى أنهم كانوا يعتقدون في الشعري اليمانية اعتقاداً راسخا حتى إن القرآن الكريم رد عليهم في هذا الاعتقاد ليس في محله وجاء ذلك في قوله تعالى « وأنه هو رب الشعري » (سورة النجم آية ٤٩) .
ويختتم المؤلف كتاب الصوم في الشريعة اليهودية بباب سابع وأخير عنون له (مقارنات) ليبين لنا أو الشبة في الصوم بين الطوائف والديانات سواء من ناحية الطعام والشرب وانواعهما وكذلك المدد والمواعيد مما يعطي خلاصة لهذا البحث الشيق والقوي بتفاصيله ومفرداته ومراجعه .

اليهود

ليسوا تجاراً بالنشأة

تأليف

الدكتور حسن ظاظا . استاذ الدراسات العبرية بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية .

السيد محمد عاشور . بكالوريوس كلية التجارة (القاهرة) وتاجر أقمشة بالحمزاوي .

الطبعة الأولى ١٩٧٥م عدد الصفحات ١٧٦ صفحة ، الحجم المتوسط .

بدار الاتحاد العربي للطباعة

قدم للكتاب الاستاذ محمود جعفر الجبالي - مدير عام المؤسسة الاستهلاكية العامة . بالحديث عن التجارة وارتباطها بالمجتمع البشري منذ القدم ، وتبادل السلع بالمقايضة والتطور الذي نشهده اليوم من بورصات واسواق مال . ثم يتعرض لليهود موضوع الكتاب على أنهم لم يظهروا كتجار إلا بالعصور الموسطى .. ثم تحول اليهود في العصر الحديث إلى قوة مالية لها سطوتها وسيطرتها على كثير من الدول والحكومات بعد تكديس الأموال وشراء الصناعات واحتكارها للسوق .

الباب الأول

التجارة في العصور القديمة

في بابل تم انشاء القواعد الحسابية وتسجيلها ، والمستودعات ، وكذلك القوانين والتشريعات ومنها تشريع حمورابي .

لم يتوقف الأمر عند ذلك بل اسسوا غرفاً تجارية واعتمدوا الحوالات وخطابات الإعتماد ونظم الإيداع والبريد والنقل ، وتبعهم في ذلك الفنيقيين ، ويرى المؤرخ رسون ، أن الفنيقيين أول شعوب العالم الذين

احترفوا التجارة براً وبحراً ، كما يقول المؤرخ كليف داي : احتكرت فنيقية مواد الصياغة ويعتبرون اساتذة الشعوب في علم الملاحة .
بما ان كلمة كنعان تعني تاجر كما جاء في التوراة فنعرف من ذلك ان كنعان ومكانها فلسطين الآن كانت امتداد لحركة التجارة الفنيقيه في صور وصيدا واقامت أو النقابات التجارية ، كما ان قرطاجنة التي انشأت سنة ٨٠٠ قبل الميلاد كان لها نشاطها التجاري المعروف والذي امتد لكل مدن شمال افريقية .غير الآشوريون الذين كان اهتمامهم منصبا على السياسة والحرب .
أما الأراميون وهم سكان سوريا ودمشق بالتحديد رغم انتشارهم بالبلاد كانوا قد تقدموا بالتجارة حتى سادوا العالم بانتشار قوافلهم ولغتهم ، ولم يكن اليونانيون يشتغلون بالتجارة بسبب كتابة الفلاسفة التي تقول ان التجارة تفسد النفوس ، لكن سرعان ما اشتغلوا بالتجارة لاختلاطهم بالفنيقيين والآراميين .
الرومانيون لم يسجلوا اي نشاط اقتصادي أو تجاري يؤخذ به لكنهم خدموا التجارة بطريق غير مباشر لاهتمامهم بتمهيد الطرق .
وللحديث عن التطور الاقتصادي في مصر الفرعونية . نؤكد ان مصر بلداً زراعيا لكنها اهتمت بالتجارة خاصة بعد عهد الأسرة الثامنة عشر وامتد نشاطها إلى سوريا وذلك بسبب الفائض من الزراعة والفتوحات الحربية في عهد تحتمس ومن جاء من بعده ، كما هو الحال في عهد البطالسة ممن اهتموا بإصلاح أحوال مصر الاقتصادية .ولم تعرف مصر نظام الاحتكار إلا في عهد الاسكندر كما تميزت التجارة المصرية في العهد الروماني بالزيادة نتيجة استخدام البحر لنقل البضائع فيما لم يستطيع العرب المنافسة لاستخدامهم القوافل البرية في تجارتهم ونقل بضائعهم .
ويستمر المؤلف في استعراض أهمية العواصم والمدن والاقاليم بشكل دقيق من ناحية الفرس وتدمر والنبط وجرها أو العقير وجرهم وسبأ واليمن وقتبان ومكة المكرمة إلا انني توقفت عند الحديث عن

تيماء التي وجه إليها الملك الكلداني سنة ٥٠٥ ق . م حملة حربية للاستيلاء عليها ، وعلى مراكزها التجارية وقد سكنها جالية يهودية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر اسمها في سفري أشعيا وأرميا من أشعار العهد القديم .

الباب الثاني

الشرائع القديمة

وما يتعلق منها بالتجارة

الشرائع القديمة .. وعلاقتها بالتجارة

تحدث المؤلف في الفصول السابقة عن بعض الدول التي اشتهرت بالنشاط التجاري ، ليس هذا فقط بل لها الفضل فيما تركت ورائها من قوانين ولوائح لتنظيم التجارة .

من تلك القوانين واقدمها على الإطلاق (قانون أورنمو) الذي أصدره الملك أورنمو مؤسس أسرة أور الثالثة في سومر حوالي ٢٠٥٠ ق . م ، ويعد هذا القانون أقدم وثيقة قانونية في العالم وتسبق شريعة حمورابي بحوالي ثلاث قرون ، وقد احتوى هذا القانون على مواد تتعلق بالدخل والقصاص والغرامة والتعويض المادي ، والموازين والنقود والتأمين الإجتماعي .

قانون لبيت اشتار (عشتار) اصدره الملك لبيت اشتار خامس ملوك أسرة أبسن ، ويرى المؤرخون أن هذا القانون صدر في السنة الحادية عشرة من حكمه ، وهذا القانون يسبق قانون حمورابي بمائة سنة تقريباً .

وقد احتوى هذا القانون على مواد تخص الزراعة والتجارة والزواج والميراث والايجار .

شريعة أشنونا : أصدر هذا القانون الملك بلالاما لتنظيم شؤون مملكته بعد سقوط أسرة أور الثالثة أي بعد شريعة اورنمو بحوالي مائة سنة احتوى هذا القانون على مواد منها : النقل ، الفائدة ، التاجر وحقوقه وواجباته ، المرأة وحقها في الإشتغال بالتجارة ، قائمة بالاسعار والإيجارات والأجور وبذلك يكون أول القوانين التي صدرت للأسعار .

قانون حمورابي : حمورابي هو سادس ملوك الأسرة البابلية القديمة ، وقد حكم ٤٣ سنة واصدر هذا القانون في السنة الثانية من حكمه وتعود شهرة قانون حمورابي إلى كثرة احتوائها على مواد تفصيلية كما انه الوحيد الذي اكتشف كاملا وعدد مواده ٢٨٢ مادة

الباب الثالث

اليهود يشتغلون بالزراعة

اتخذ اليهود الرعي عملا لهم وحرفة ثم أخذوا يشتغلون بالزراعة بعد ذلك وفضلوها على أي حرفة أو مهنة أخرى ، حتى فضلوها على التجارة ومظهر ذلك التفضيل أن التوراة وهي كتابهم المقدس لم تتكلم عن التجارة بينما حوت الكثير عن الزراعة .

وقد شرعت لهم الزراعة خلال ست سنوات متعاقبة ولكن يتوقفون عن الزراعة في السنة السابعة لترتاح الأرض ويسمونها (سنة الإبراء)

وجاء في سفر اللاويين اصحاح ٢٥

« ست سنين تزرع حقلك وست سنين تحصد كرمك وتجمع غلتك وأما في السنة السابعة فيكون للأرض سبت عطلة سبتاً للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك .

وأما اليوبيل فقد حرص المؤلف أن يشرح ما جاء في التوراة ويشرح اليوبيل بشكل فعلا يحتاج إلى تمعن ،

في سنة اليوبيل ترجعون كل ملكه فمتى بعث صاحبك كمبيعا أو أشتريت من يد صاحبك فلا يغبن أحدكم أخاه .

والأرض لا تباع بتة لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي بل في كل أرض ملككم تجعلون فكاكا للأرض .

معنى اليوبيل : كل خمسين سنة ترجع الأرض إلى من كانت في يده من خمسين سنة وهكذا ترجع الأرض إلى من كان يملكها من قبل ، وذلك كله مشروح في كتاب مؤلفنا السيد عاشور في كتابه الربا عند اليهود .

التلمود : شجع علماء التلمود في اقوالهم على الزراعة ولم يحيدوا التجارة بل جعلوها في الدرجة الأخيرة من المهن ، وكأمثلة دلل عليها المؤلف يقول :
يقول الحاخام نحمان (٢٣٥ ـ ٣٣٠) : « إن الإقراض الزراعي لتحسين الأراضي وزيادة الإنتاج مفضل على الإقراض التجاري لزيادة الربح »
ويقول الحاخام أيا لابنه وهو يعظه :
« يا بني إنه من الأفضل أن يكون لك حقل صغير من أن يكون لك متجر كبير » . ويقول التلمود « إنه كلما قلل الإنسان من التجارة كان ميله إلى التوراة أكثر » .
وكذلك سجل المؤرخون يان اليهود يمتهنون الرعي والزراعة حتى السبي ثم من بعد ذلك تنوعت المهن .

الباب الرابع
موقف اليهود من الأعمال التجارية (كراهية اليهود للتجارة)
موقف انبياء بني اسرائيل من التجارة هو العداء والكراهية فعارضوا العمل بها سواء أكانوا أشخاصا أم دولا ولذلك اكد الاستاذ سيد عاشور على أنه قسم الحديث في هذا إلى فصلين : الفصل الأول هو ايراد بيان بكل الآيات والإصحاحات التي تكلم بها كل نبي في سفره عن التجارة حتى يسهل على القارىء الرجوع إليها فيما لو أراد بحثها وقرائتها بالتفصيل .
والفصل الثاني خصصه لإيراد بعض الأفكار التي أبداها عن التجارة بعض هؤلاء الأنبياء بالتفصيل .

الباب الخامس
الديانة اليهودية تقف ضد التجارة والأعمال التجارية
متى بدأ اليهود الأعمال التجارية ؟
ـ اختلف المؤرخون في تحديد العصر الذي بدأ فيه اليهود الاشتغال

بالتجارة التي تعتبر أحد مصادر الدخل القومي للدولة والتي تلعب دوراً هاماً في حياتها الاقتصادية . يرى البعض ان التجارة لدى اليهود بدأت مع القرن الخامس الميلادي

كان أثر بابل عظيما على اليهود ويدل على ذلك ما نقله اليهود من علوم الفلك والحساب وتقسيم الزمن إلى ساعات ، وكذلك الموازين والمكاييل مثل الذراع والتالنت والشاقل . كما عرف اليهود عن بابل المصارف ونظامها .

كذلك بعد اختلاطهم بالكنعانيين وحضارتهم فاشتغلوا بالزراعة وتعلموا فنونها وبعد ذلك وبنفس العمق تعلموا منهم اصول التجارة ومنها انشاء النقابات .

وكان تأثير الفنيقيون قد تجاوز التجارة وفنونها وقوانينها إلى الصناعة وكان للآراميون فضل كبير على اليهود في تعليمهم فنون التجارة حيث تقيم آرام اسواقا بينهم وكانت تلك الأسواق بمثابة معارض ومعاهد يتعلمون من خلالها الفنون التجارية .

هل نظمت الديانة الموسوية ، بعض النظم المتعلقة بالتجارة ؟

حرص المؤلف أن يبين بعض ما جاء في كتب اليهود وعلى السنة علمائهم من تشجيع للتجارة ، ومنها :

ـ حفظ حقوق المشتري بعدم استخدام الأوزان الناقصة أو المزيفة .

ـ عدم رفع الاسعار والمضاربة .

ـ تقييد التصدير لحفظ الانتاج للسوق المحلي .

ـ الا يزيد ربح التاجر عن سدس القيمة .

ـ على الاجانب ان يخرجوا عن السوق كي لا يؤثروا على السوق المحلي .

ـ بعض الملوك شجعوا على التجارة امثال سليمان وآحاب وعزيا ويهوشفاط .

ـ اشتغل بعض رجال الدين بالتجارة فكان الحاخام اليعازر بن أزاريا يبيع النبيذ .

الباب السادس

التجارة عند اليهود منذ عصر الملك سليمان

هذا الباب هو أطول الأبواب في الكتاب ومتخم بالمعلومات التفصيلية ليس عن عصر سليمان فقط بل عن الحياة عند اليهود في تلك الفترة من تاريخهم،

يرى بعض المؤرخين ان التجارة لم تبدأ مع اليهود إلا في عهد الملك سليمان ومن مظاهر النشاط التجاري في عهد سليمان هي :

١ ـ حالة أورشليم التجارية : أصبحت أورشليم أيام سليمان من أنشط الأسواق في الشرق الأدنى وإن لم تكن على الطرق التجارية الكبرى . وحافظ سليمان على ما انشأه داود من صلات ودية مع حيرام ملك صور وشجع التجار الفنيقيين على أن يسيروا قوافلهم التجارية عبر غلسطين .

عصر سليمان .. هل يعتبر عصر تجاري حقيقة ؟

هنا يختلف المؤلف السيد عاشور مع ما يراه بعض المؤرخين خصوصا اليهود بأن عصر سليمان كان عصر تجارة إنما هي موجة انتهت بعد فترة قصيرة للأسباب التالية :

١ ـ توصف الدولة بأنها تجارية إذا كان الشعب هو الذي يقوم بالتجارة وبدخل لا يقل عن ٣٠٪ . لكن عصر سليمان كانت الحكومة هي التي تقوم بالتجارة .

٢ ـ التجارة بيد الشعب تصبح مهنة دائمة لا تنتهي . بينما لو كانت التجارة بيد الحكومة فإنها قد تنهار بعد فترة قصيرة .

٣ ـ ان التجارة في عصر سليمان فقط وكانت في أيدي الفنيقيين . والقائمين على بناء السفن من أهل صور وصيدا .

٤ ـ انقسام المملكة بعد وفاة سليمان عجل بانهيار التجارة على أن الانتاج الزراعي كان في زيادة مستمرة . والفائض كان يصدر ولما هبط الانتاج هبط التصدير .

٥ ـ المعاهدات التي كانت بين سليمان وصور وصيدا انتهت بانتهاء

حكمه .

٦ ـ الادوميين كانوا في وفاق مع سليمان إلا أنهم ثاروا على اليهود بعد موته فقطعوا طرق القوافل فضعفت تجارتهم وظل الادوميين يستفيدون من مركزهم حتى استولى عليهم الآراميين .

وفي ذات السياق اورد لنا المؤلف تسعة عشر سبباً اوجزتها فيما تقدم ..

ونعود للكتاب حيث وقف المؤلف عن لحظات هامة ومنها :

التجارة من عصر سليمان حتى السبي البابلي .. منذ القرن التاسع حتى السادس ق. م .

يمتاز العصر الذي تلا عصر سليمان حتى السبي البابلي بظهور بعض الأنبياء الذين وقفوا ضد التجارة وينذرون اليهود بالويل والمصائب لأنها أخذت تتعامل مع الدول الأخرى تجاريا ، وأما عهد السبي والمقصود به غزو نبوخذنصر بلاد اليهود واستولى عليها وسبى أهلها ونقلهم إلى بابل عام ٥٨٦ ق . م . وسبق ذلك سبي آخر عندما غزا الآشوريون الجزء الشمالي من اسرائيل (سامريا) ونقل أهلها إلى نينوى آخر سنة ٧٢٢ ق . م . وقد تعلم اليهود أثناء السبي الموازين والمكاييل البابلية وعلوم الصرافة .

بنك إيجيبي .. تأسس في بابل واستمر يقوم بأعماله التجارية ما يقرب من أربعة قرون متتالية من القرن السابع قبل الميلاد إلى الثالث ق . م .والذي تم اكتشافة في تل عمران عام ١٨٧٤ ميلادية بالعراق حيث وجدت صور معاملات وعقود تجارية وسندات .

هنا حاول اليهود ان ينسبوا البنك لليهود على اعتبار ان ايجيبي كلمة محرفة عن جيكوبي او يعقوب ولكن المؤلف (عاشور) يؤكد ان الكلمة آشورية من مقطعين وتعني بيت الشريف .

بنك ماراشو .. مركز هذا البنك في نيبوز ببابل ويضارع بنك اجيبي إلا أنه كان يباشر النواحي الزراعية .

اليهود من السبي حتى ظهور المسيح .

خضع اليهود لفارس ثم للاسكندر الأكبر ثم البطالسة والسلوقيين ثم الرومان .

وكان لكل من هؤلاء الغزاة نظام خاص في معاملتهم لهؤلاء اليهود إلا أن المعاملة التي سادت في معظم الأوقات ، كانت الضرب بشدة على أيدي الخونة لأنهم لم يراعوا الذين عاملوهم بالحسنى مثل فارس والإسكندر وكانت النتيجة أن طردهم الفرس بعد أن اشتغل اليهود جواسيس لهم ثم تمردوا على اليونان ، وكان ان هدم اليونان معابدهم ، ثم قام تيتوس الحاكم الروماني بهدم الهيكل الثاني وهو معبدهم الكبير .

وليس عجيب ان يسرد المؤلف صفحة ١٠٢من الكتاب يبين فيها أن اليهود خونة في كل وقت وفي كل مكان .

الباب السابع

الكنيسة ونظرياتها الاقتصادية في العصور الوسطى

وأثر ذلك على اليهود من الوجهة التجارية

حرمت الكنيسة الربا وحثت على العمل ، كما اعتبرت الزراعة المصدر الأساسي للدخل لكنها وقفت ضد الصناعة والتجارة .

نظر رجال الكنيسة إلى التجارة نظرة ريبة فهي خطر على الفضيلة لأنها تؤدي إلى الغش والخيانة وهذه رذائل يجب أن يتجنبها الإنسان كما أنه يصعب على التاجر أن ينطق بالحقيقة في كثير من الأحايين .

ولكن عندما تطور هذا الفكر نحو التجارة خرج أيضا فكراً مقيداً وحلا بشروط فلم تسمح لكل الناس الاشتغال بالتجارة فقد حرمته على رجال الدين وأغنياء الحرب .

وهناك اسباب غير اقتصادية عملت على توقف العمل بالتجارة بين المسيحيين لإنتشار التربية الروحية وظهور الحركة العلمية وانتشارها .

الباب الثامن

اليهود والإقراض بالربا

في الزمن القديم كان يطلق على الكنعاني(تاجر) واليوم يطلق على

اليهودي (مرابي).

ما هي الاسباب لاشتغال اليهود بالاقراض بالربا :

١ ـ الاسباب الدينية : لم تحرم التوراة على اليهود الاشتغال بالربا وجاء في سفر التثنية الإصحاح ٢٣ آية ٢٠ : (لا تقرض أخاك بربا ـ ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا . للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتملكها) .

٢ ـ الأسباب التاريخية : إتصال اليهود ومجاورتهم للكنعانيين عرفوا منهم أساليب التجارة والاشتغال بالربا . وعندما حرمت الكنيسة الاشتغال بالربا انتهز اليهود الفرصة فزادوا من نشاطهم بعدما حرمت عليهم أيضا الوظائف .

إذن ما هي الأدلة على اشتغال اليهود بالربا .

هناك اعترافات من اليهود انفسهم وتبريرهم في ذلك محاربة الكنيسة لهم وعدم توفير وظائف ، كما سجل المؤلفان (حسن ظاظا والسيد عاشور) العديد من المراجع والشهادات حول هذا الموضوع ومنها : كتاب في التاريخ الاقتصادي الذي جاء فيه :

« لدينا شهادة تثبت بجلاء الصعوبة التي واجهتها التجارة الغربية في رفع سلع الشرق الثمينة نقداً ففي وثيقة من راجوزة مؤرخة سنة ١٥٧٣ نجد ما يدل على أن الفائدة على النقد في الاسكندرية بمصر بلغت حداً كبيراً حتى أن التجار اليهود كانوا يقرضون التجار المسيحيين الذي حل بهم الضيق بربا فاحش ترواح سعره بين ٣٦٪ و٤٨٪ في السنة .

رواية تاجر البندقية ـ اليهودي الجشع الذي يقرض بالربا الفاحش ـ للشاعر الانجليزي الشهير وليم شكسبير ، وموجز الرواية : ان التاجر المرابي شيلوك اليهودي قد اقرض صديقه انطونيو مبلغاً على ان يسدده في موعداً قد حدداه واشترط التاجر على المدين في حالة التأخر عن السداد أن يدفع رطلاً من لحمه ، وانتهت القصة بتمسك اليهودي بالشرط ولكن انطونيو قد تحايل للتغلب عليه .

لماذا لجأ اليهود لرفع نسبة الفائدة التي قد تصل إلى ٥٠٪ في كثير من الأحيان ؟ يبررون ذلك بكثرة علميات المصادرة والسطو التي كانت تحدث معهم ، علاقتهم بالسلطة واصحاب النفوذ ممن يسمحون لهم برفع قيمة الفائدة .

الباب التاسع

الإسلام وأثره على اليهود في الأعمال التجارية

ينقسم هذا الباب إلى ثلاث فصول : الفصل الأول منها: (النظم المالية في الإسلام) .

يعتبر الدين الإسلامي أكثر الأديان اهتماما بالمسائل الاقتصادية والمالية ولعل ما جاء في القرآن والسنة وآراء الفقهاء والأئمة أكبر دليل على ذلك ، إلى جانب ذلك فإن تسامح المسلمين مع أهل الذمة وحفظ حقوقهم المالية .

ولم يتطور النظام المصرفي في أوروبا إلا من خلال الحروب الصليبية بعد أن نقله الأوروبيين من الشرق العربي ومنها بعض الأوراق والمستندات المالية مثل (السفتجة) وهي اسم فارسي للحوالة .. وكذلك الشيكات ونشأة الشركات وبيوت المال .

اورد المؤلفان نموذج لأذونات على الحكومة : كانت الحكومة تقترض من الناس بفائدة ثم تدفع كل شهر .

ـ « استدان الوزير العباسي علي بن عيسى مبلغا من المال من بعض التجار على هيئة قرض قيمته عشرة آلاف دينار ، وكان الضمان هو ضمانات أو اذونات تحويل سفتجات تدفع في مواعيد محددة من كل شهر بفائدة واحد ونصف بالمائة من الفضة لكل دينار بحيث تصل الفوائد شهريا إلى ٢٥٠٠ درهم ».

ـ « أقرض الكارمية برهان الدين المحلي وشهاب الدين مسلم ونور الدين الخروبي السلطان برقوق مليون درهم لمدافعة تيمور لنك سنة ١٣٩٤ م واستلموا من بيت المال صكوك ضمان بالمبلغ على خزينة الدولة على

هيئة صكوك أو مساطير كتبها بخطه وبضمانة الأستادار محمود بن علي » .

ونستخلص من ذلك حقيقة النظم المالية في الإسلام وباعتراف الاجانب عن تقدم العلوم والنظم المالية عند المسلمين وأثرها على أوروبا واليهود . ولا ننسى هنا أن دول أوروبا ضربت النقود على الاسلوب الاسلامي ووضعت لها الاسماء وهذا دليل آخر على حسن إدارة المسلمين للمعاملات النقدية .

وهناك كلمات تجارية عربية الأصل تستخدم في اللغات الأجنبية عندما ضرب الفونس الثامن في طليطلة سنة ١١٧٨ ميلادية عملة سميت المرابتون morabotins على اسم دولة المرابطين المسلمين الذين حكموا البلاد قبلهم .

ومن تلك الأمثلة المعروفة أيضا التي تستعمل في المشروبات (القهوة .. السكر .. السنامكي .. الحلبة .. الأرز) حتى الموازين واسماء النسيج ومصطلحات تجارية عديدة .

الفصل الثاني

شهادة الأجانب على حسن معاملة المسلمين لليهود . وشهادة اليهود أنفسهم بحسن هذه المعاملة .

ومن أقوال بعض هؤلاء اليهود : ١ ـ الرحالة مشولام بن مناحم : « عندما زار مصر عام ١٤٨١ م في عصر المماليك يشهد بسماحة الإسلام وحسن معاملة المسلمين لليهود وتمييزهم عن غيرهم ، لم يكونو يدفعون الضرائب على بضائعهم بخلاف غيرهم من الدول الأخرى » .

٢ ـ بتاحيا (الرحالة اليهودي) : « بينما لم نجد في فلسطين غير يهودي واحد بسبب اضطهاد الصليبيين لليهود نجد أن ثلاثة آلاف يهودي يسكنون دمشق ، والتي هي تحت حكم المسلمين .

وكان كذلك بالقاهرة سبعة آلاف يهودي في الاسكندرية ومثلهم في الدلتا وستماية في المدن التجارية بالصعيد » .

٣ ـ بنيامين التودلي (الرحالة اليهودي) : « إن اليهود كانوا يشتغلون

بالصباغة ، وأن الاثنى عشر الذين كانوا يسكنون بيت لحم كانوا صباغين » .

٤ ـ والمؤرخ آدم متز يقول : لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب العمل . وكذلك المؤرخ جيمس هامر والمستشرق آرنولد وغيرهم .

الفصل الثالث

سوء معاملة الدول غير الإسلامية لليهود .. وأثر ذلك عليهم

ومن مظاهر المعاملة السيئة من بعض الدول لليهود :

١ ـ الفرس :

اشتغل اليهود جواسيس للفرس عندما فتحوا بابل في القرن الخامس قبل الميلاد .لكن انقلب الحال وطردهم الفرس كما اضطهدم الملك أردشير مؤسس الدولة الساسانية وسمح للمجوس بتعذيبهم والتنكيل بهم ، وكذلك فعل يزدجرد الثاني في سنة ٢٣١ للميلاد .

٢ ـ أسبانيا :

قامت الحكومة الاسبانية المسيحية بطرد جميع اليهود من أسبانيا فهاجر بعضهم إلى هولندا والبعض الآخر إلى بلاد المغرب وشمال أفريقيا وتركيا . لقد عومل اليهود شر معاملة في أسبانيا بينما عوملوا معاملة حسنة من الدول الإسلامية .

٣ ـ الانجليز قاموا بطرد جميع اليهود وبعد اربعة قرون سمحوا لهم بالعودة إليهم .

٤ ـ الصليبيون :

من شهادات الرحالة بتاحيا والتودلي وكذلك المؤرخ بابلومارسيوس جورجيوس ان عدد سكان اليهود في القدس أربعة أشخاص أو واحد فقط وفي مدينة صور تسع شباب يهود لا غير .

٥ ـ مرسيليا وسوء معاملتهم لليهود :

بعد طردهم من اسبانيا وهجرتهم لمرسيليا كان اهل مرسيليا يكرهونهم لابتزازهم اموال الشعب وتعاملهم بالربا الفاحش فعمدت

الحكومة والأهالي إلى طردهم

الباب العاشر

الأسباب التي دعت أخيراً اليهود إلى الإشتغال بالتجارة .

الفصل الأول

الأسباب العامة التي دعت اليهود للإشتغال بالتجارة في العصور المختلفة ، ومنها :

١ ـ قرب البلاد التي يسكنها اليهود من الدول التي اشتهرت بالتجارة .

٢ ـ الإطلاع على الشرائع التي خلفتها لنا الدول القديمة مثل اورنمو وحامورابي .

٣ ـ دخولهم مصر واستيطانهم فيها عدة قرون وتعلمهم من فنون وعلوم المصريين .

٤ ـ استخدام الملك سليمان أجانب من فينيقيين وآراميين . وكانوا بمثابة اساتذة لليهود .

٥ ـ المعاهدات والتحالفات التي عقدها بعض الملوك اليهود مع دول أجنبية .

٦ ـ السبي البابلي وإقامة اليهود في بابل واطلاعهم على الشرائع .

٧ ـ الفتوحات التي تمت على يد الاسكندر وانتشار اليهود في تلك البلاد .

٨ ـ استيلاء المكابيين على يافا ووصولهم إلى البحر ساعدهم على قيام تجارة بحرية في عهدهم .

٩ ـ موقف الكنيسة العدائي لهم

١٠ ـ تحريم الأقراض بالربا .

١١ ـ طرد اليهود من اسبانيا . وانجلترا وفرنسا والمانيا .

١٢ ـ اكتشاف امريكا وهجرة كثير من يهود اوروبا .

١٣ ـ الثورة الفرنسية التي منحتهم بعض الحقوق .

١٤ ـ تسامح الاسلام والمسلمين و...... .

الفصل الثاني

الصفات السيئة التي من أجلها كره الناس اليهود .

اشتهر اليهود بسوء أخلاقهم التيٍ لازمتهم منذ ظهورهم على سطح الأرض واختيارهم اسم اليهود علماً عليهم . وصفات أخرى منها :

- التعصب الجنسي وماجاءت به التوراة من أنهم شعب الله المختار ، وأنه ليس لليهودي أن يتعامل مع الشعوب الأخرى ولا يتزاوج منهم .
- رجال التلمود الذين بثوا في نفوس الشعب اليهودي فكرة الاستعلاء وأن الشعوب الأخرى أقل منهم .
- المعاملة بين الناس ان يكون هناك فرق بين معاملة اليهودي ومعاملة غير اليهودي .
- الانعزالية وفكرة نقاء الدم اليهودي . وليس ادل على تمسكهم بالنعزالية مثل اختيارهم سكن خاص في احياء خاصة بهم أطلق عليها اسم الجيتو .

شريعة الحرب عند اليهود

تأليف

الدكتور حسن ظاظا . استاذ الدراسات العبرية بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية .

السيد محمد عاشور . بكالوريوس كلية التجارة (القاهرة) وتاجر أقمشة بالحمزاوي .

الطبعة الأولى ١٩٧٦م عدد الصفحات ٣٣٦ صفحة ، الحجم المتوسط .

للتنويه : هذا الكتاب (شريعة الحرب عند اليهود) للاستاذ سيد عاشور بالمشاركة مع استاذ الدراسات العبرية بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، د . حسن ظاظا .

الباب الأول

التعريف بالتوراة (العهد القديم)

حاول المؤلفان ان يقدما لنا تعريفاً مبسطاً بالتوراة (العهد القديم) في نقاط محددة تسلط الضوء أمام القارىء وتعطيه فكرة عن حجم البحث وتشعباته ، من خلال هذا التعريف للعهد القديم (التوراة) والتي تتكون من خمس أسفار وهي التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام .

كتب الأنبياء وهي التي جاءت على لسان أنبياء بني اسرائيل مثل : أشعيا وأرميا وعاموس .

كتب تسمى (كتوبيم) وتحوي أجزاء مختلفة من المزامير وأمثال سليمان ونشيد الأنشاد .

التوراة تتكون من خمس أسفار تبدأ من بدء الخليقة ، وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام في شرق الأردن حوالي سنة ١٣٠٠ ق . م .

أسفار التوراة : سفر التكوين يقع في خمسين فصلا أو إصحاحاً تحكي في خطوطها العريضة قصة آدم ونوح وابناءه بعد الطوفان سام وحام ويافت . ثم يصل لإبراهيم عليه السلام ثم اسحاق ويعقوب ، وأبنائه الأحد عشرة ، واستقرارهم في أرض الفراعنة .

سفر الخروج : ويقع في أربعين إصحاحاً، من بداية إضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل بعد زيادة عددهم ومن بعد يوسف حتى ميلاد موسى إلى عبوره البحر ، ورحلتهم عبر الصحراء ثم يتلقى موسى الوصايا ويصعد الجبل وتطول اقامته وحيداً هناك ، فيرتد بني إسرائيل ويعبدون العجل ، فيتولى موسى عليه السلام عملية إصلاح من جديد .

سفر اللاويين : يسمى سفر الأحبار الذي يجمع الشرائع والقانون الكهنوتي .

سفر العدد : التسمية جاءت لاشتماله على الكثير من التعداد ، ويقع في ستة وثلاثين إصحاحاً ، وجاء به إحصاء تفصيلي للشعب السائر مع موسى وعدد الذبائح والمدن والقرى ونحو ذلك .

سفر التثنية : تثنية الاشتراع أو إعادة الشريعة على بني اسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء .

الأنبياء الأول ، يتألف من أربعة أسفار :

١ ـ يوشع بن نون : به اربعة وعشرين اصحاحاً تروي اقتحام العبريين أرض فلسطين بزعامة خليفة موسى، وقد اعتبر عمله مكملا لعمل موسى .

٢ ـ القضاة : القضاة هم سلسلة من الزعماء الدينيين والعسكريين حاولوا على مدى أكثر من قرنين من الزمان أن يمنعوا العبريين من الكفر ، والفجور ، وأن يواصلوا إعدادهم إعداداً قتالياً للاستقرار بالقوة في هذه الأرض . ويحتوي هذا السفر على واحد وعشرين إصحاحاً .

٣ ـ صمويل : يتحدث عن فكرة النبوة في بني اسرائيل وكيف تتبلور في شكل واضح بأنها صفات زعامة سياسية ودينية تعتبر إمتداد للقضاة ، وإن كانت لا تسعى لمقاليد الحكم ، وهو ينقسم لجزأين أولهما انتقال

صمويل من صفة قاضي إلى صفة نبي ، والجزء الثاني جهوده لتولية داود العرش .

٤ ـ الملوك : وهو مقسم لجزأين : الملوك الأول ، والملوك الثاني ويخصص بجزأيه لذكر مملكة سليمان وبناء الهيل ومظاهر الأبهة ، ثم تصدع تلك المملكة بعد موت سليمان وتقسيمها لقسمين الجنوبي منه يجلس على العرش رحبعام بن سليمان وعاصمته اورشاليم ، والثاني الشمالي وقد جلس على العرش ضابط يهودي متمرد على سليمان اسمه باريعام بن نباط .

الأنبياء الأخر : يحتوي على تراث القادة الروحيين الذين حاولوا ، بطرق شتى ، الأخذ بيد اليهود نحو بر السلامة في ظروف حالكة احاط بهم فيها الأعداء .

الكتب : وتسمى كتب الحكمة ، وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي ، وتتصل بالكيان الإجتماعي والروحي والديني لليهود ، وهذه الأسفار هي :

أ ـ مزامير داود .

ب ـ أمثال سليمان .

جـ ـ أيوب : وهناك أكثر من دليل علمي كثيرة على أن النص الأصلي عربي .

د ـ نشيد الأناشيد ، وأصله قطعة غنائية من الفولكلور اليهودي لمناسبات الزواج .

هـ ـ روث : قصة بطلة عبرية ترجع إلى عهد القضاة .

و ـ المراثي : مجموعة قصائد تنسب لأرميا في البكاء على أورشليم .

ز ـ الجامعة : أو قوهيلت ، وينسب إلى أحد أبناء سليمان ، وهو خواطر فلسفية .

ح ـ استير : وفيه قصة حصول اليهود بفضلها على وعد من امبراطور فارس بالعودة إلى فلسطين .

ط ـ دنيال : قصة مغامرات النبي دانيال أثناء حكم بختنصر .

ي ـ عزرا : يسمى عزرا الكاتب وإليه ينسب جمع العهد القديم .

ك ـ نحميا : وهو الذي أعاد بناء أسوار أورشليم والهيكل من السبي .
ل ـ أخبار الأيام : وهو تلخيص للوقائع اليهودية التاريخية الواردة في الكتاب المقدس .

الباب الثاني

الفصل الأول : الحرب شر لابد منه

الحرب صراع دموي بين إرادتين ، وتكون الحرب ضرورة إجتماعية عندما تتضارب المصالح ، والاسباب التي تؤدي للحرب متعددة ومتنوعة ومنها :

أ ـ أسباب سياسية

ب ـ أسباب اقتصادية

جـ ـ أسباب دينية

جذور العسكرية الإسرائيلية .. في ديانة اليهود وتاريخهم

الحرب في النصوص الدينية اليهودية : من ناحية الوجوب :

الحرب الهجومية والدفاعية في نظر اليهود ، تنقسم الحروب عند اليهود إلى نوعين أحدهما فريضة واجبة على الجميع والأخرى سنة مستحبة .

أما النوع الأول فهو الحرب الدفاعية وحكمها في الشريعة الإسرائيلية ان الملك أو من يقوم مقامه يشرع فيها بدون الحاجة إلى أخذ موافقة المجمع الكهنوتي الشرعي (السنهدرين) .

والنوع الثاني يسمى بالحروب الهجومية والغرض منه توسيع رقعة الدولة بإحتلال أرض جديدة ، وفي الحروب الهجومية أباحت شرائع اليهود قتل الذكور البالغين من العدو وسلب أموالهم .

أما الحروب الدفاعية فقد اباحت لهم شرائعهم إبادة العدو كله وقتل جميع النفوس ، ومن حروبهم :

الحرب الوقائية

وهذا النوع ظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، والتي تعتمد أولا وأخيراً على عنصر المفاجأة ومن مظاهرها افتعال مشكلة ومحاولة حلها وكذلك اختلاق الحوادث مع تضليل الرأي العام العالمي ، والمثال الواضح لهذا الجيل هو ما قامت به أمريكا في الحرب على العراق .

حرب العصابات

اتخذت الطائفة اليهودية المعارضة اسم المكابيين أو الحشمونائيم ، كما اتخذت من الجبال معسكراً لها ولم تقف أمام الجيش اليوناني في ساحة حرب بل أخذت تحارب حرباً غير نظامية . واستمرت الحرب سجالا بينهما مدة طويلة إلى أن تغلب اليونان على هذه الطائفة اليهودية وانهزم اليهود شر هزيمة .

الحرب النفسية

هذه الحرب ليست تقليدية ولا يستخدم فيها طائرات ولا سيوف ولا دبابات ومدافع وانما هي وسائل يقصد منها التأثير على الروح المعنوية والكفاءة القتالية للدولة المعادية ومن تلك الوسائل :

نشر الأكاذيب والإشاعات وتوزيع المنشورات ، استعراض القوى وعمل المناورات .

عقيدة الحرب عند اليهود

الحرب في عقيدة بني إسرائيل عمل مقدس ، فقائد هذه الحرب ، في زعمهم ، هو « رب إسرائيل » وجنودهم هم جنود الرب . ويظهر ذلك في كثير من نصوص التوراة المعروفة .

وتقول التوراة «إن الله أمر موسى بأن ينتقم ويحارب الشعوب السبعة التي تسكن أرض فلسطين ، وأن يبيدهم ، ويستولي على أرضيهم ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث في حياة موسى .. وبعد موته كلم الرب (يوشع بن نون) خادم موسى قائلا : موسى عبدي قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وهذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل » . وتعليقا على ذلك قال بن جوريون إن البلدان التي لم يستطيع (يوشع) أن يحررها ، وقد حررها جيش الدفاع الإسرائيلي ! فكتب اليهود تدعوا للحرب العدوانية .

التلمود وآثاره على العقلية اليهودية

(التلمود) هو ملحق لأسفار التوراة ، وهذا الكتاب يتضمن القانون المدني والديني للشعب اليهودي ، فالمبادىء العدوانية التي اشتمل عليها التلمود عديدة ومن أبرزها :

١ ـ القول بأن الدين اليهودي أفضل الأديان .
٢ ـ الجنة لليهود فقط .
٣ ـ السيادة لليهود فقط .
٤ ـ الجنس الإسرائيلي هو أفضل الأجناس البشرية . وهنا يقول التلمود ان الإسرائيلي يعتبر عند الله أفضل من الملائكة .
٥ ـ العدل هو قتل الشعوب الأخرى .

الفصل الثاني

الطوائف اليهودية وموقفها من الحرب

لم يقتصر هذا الأمر على ما جاء في التوراة من هذه العقيدة الشريرة بل كان التلمود سبباً في إثارة الحقد في قلوب اليهود ضد الشعوب الآمنة المجاورة ونشأت عن ذلك طوائف تحمل تلك الضغينة ومنها :

السامريون

طائفة يهودية تؤمن بأسفار موسى الخمسة فقط ولا تؤمن بأقوال الأنبياء ولا بكتبهم وتتخز جبل جرزيم محلا لقيادتهم بدلا عن جبل صهيون ويقع جبل جرزيم بالقرب من نابلس ، ولا تؤمن هذه الطائفة بالصهيونية ولا بقيام الحرب .

الفريسون

هي أهم الطوائف في زمن المسيح عليه السلام ، وتعتبر نفسها الممثلة للشريعة اليهودية والمدافعة عن الطقوس الدينية ونفيذها . وتعتبر النواة الأولى للصهيونية ، لكن انتهى أمرها بعد هدم هيكل سليمان سنة ٧٠ م .

القناؤن

هم شعبة من الفريسيين أطلقوا على أنفسهم القنائين أو الغيورين ، واتخذت هذه الطائفة العنف والقسوة دستوراً لها ، يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس ، إن هذه الجماعة كانت تمتاز بتمسكها لفكرة الوطن اليهودي الحر وكانوا لا يعترفون برئيس أو سيد غير الله .

الأشكناز

الكلمة معناها يهود أوروبا وهذه الطائفة تعتبر من أقطاب الصهيونية فهي تميل إلى شن الحروب ، ومعظم رؤساء هذه الطائفة وزعماءها هاجروا إلى فلسطين واسسوا فيها الاحزاب السياسية للصهيونية .

السفرد

طائفة اليهود الذين سكنوا حوض البحر المتوسط ، ولغتها في الغالب العربية أو الفارسية أو التركية ، وتتفق هذه الطائفة مع الصهيونية حيث أن معظم أهلها يعتبرون القدس وحائط المبكى مكان حجهم . تم استغلال هذه الطائفة كجواسيس على الدول العربية لأنهم يعرفون لغة البلاد العربية وتقاليدها .

الصدوقيون

فرقة تؤمن بالكتاب المقدس ولا تؤمن بالتلمود ، ولذلك فهم لا يتفقون مع الصهيونية ، ولاتميل إلى الحرب ولها عقائدها الخاصة بالحياة المترفة ، وقد انقرضت هذه الطائفة .

الأسينيون

هذه الطائفة موجودة منذ أيام المسيح عليه السلام ولم تكن معروفة حتى تم اكتشاف لفائف البحر الميت عام ١٩٤٧ م ، وكلمة اسنيين معناها الطبيب أو المداوي والكلمة أصلها آرامي وهي كلمة آسيا ومعناها طبيب وربما كانت مشتقة من العربية آسى ويواسي ، كانوا يلبسون الملابس البيضاء ويعتزلون الناس ويحرمون الذبيحة والعمل على إلغاء الحروب والمعيشة في سلام ويحرمون الاشتغال بالتجارة .

القراؤن

ترجع هذه التسمية إلى كتب العهد القديم (الأسفار الخمسة والأنبياء والكتب) تسمى المقرأ أو المقروء ، وسميت بذلك لتمسكها بتلك الاسفار ولا تؤمن بالتلمود ، وهم ضد الصهيونية ويقفون موقف العداء منها ويعتبرون فرقة الربانيون الموالين للصهيونية كفرة .

الربانيون

هي أكبر الطوائف اليهودية في العصر الحديث عدداً ، وأكثرها انتشاراً ، وتؤمن بالتوراة والتلمود وتعتبر وريثة لفرقة الفريسين ولذا فهي تميل

للإستيلاء على بيت المقدس وفلسطين كلها كما تميل للعنف والحرب .

جماعة أبناء النور وأبناء الظلام

شعار هذه الجماعة هو (حرب ابناء النور مع أبناء الظلام) وتعتبر نفسها القوة المختارة لمطاردة باقي الشعوب من غير اليهود ، وهي حركة سرية استوحت الكثير من نظمها العسكرية من الجيش الروماني ، وجذورها تمتد إلى تأسيس حركة (الماسونية) وهي حركة سرية للدرجة القصوى ، تعتمد على سيطرتها على أعضائها السيطرة الكاملة وتوجيههم لمهمات لخدمة أغراضها .

الفصل الثالث

المسيحانية وموقفها من الحرب

يدل علم مقارنة الأديان على أن شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص حتى تتجلى الأمور في العصر الحديث مع الشعوب الضعيفة والمغلوبة على أمرها تنتظر البطل الذي يخلصها مما هي فيه ، ويظهر ذلك في قبائل الهنود الحمر ، وكان البابليون يؤمنون بعودة مردوخ لتطهيرها من الفساد ، وربما ايمان الشيعة بالمهدي المنتظر وكذلك الطائفة الأحمدية في عصرنا الحديث أما الأيمان بظهور رسول إلهي يسمى المسيح خاصة فلم يعرف بهذه الصيغة قبل كتب التوراة وتفسيراتها أو تعليقات عليها في التلمود والهجادا وما إليها .

ومرجع التسمية يعود للشعائر التي وردت في سفر التكوين وسفر الخروج وما يليهما من أسفار الأنبياء فإن المسح بالزيت المبارك من شعائر التقديس والتكريم ، ويرى مؤرخو اليهود أن المسيحانية تعني رجوع المسيح إلى هذا العالم لتخليص الشعب اليهودي مما هم فيه من سوء الحال وذل الاستعمار .

وبعض هؤلاء المسحاء : (أ) باركوخيا : ظهر هذا المدعي في أوائل القرن الثاني الميلادي عام ١٣٠م وأدعى أنه المسيح المخلص ، حتى تمكن من جمع جيش ضخم بلغ نصف مليون مقاتل ، ولكن الامبراطور الروماني هادريان لم يمهلة وسا إليه فهزمه شر هزيمة ، وهنا فقط تبين لليهود أن هذا الرجل (باركوخيا) كاذب وغيروا اسمه إلى « باركوزيا » . فبعد ان

كان اسمه ابن الكوكب أصبح ابن الكذاب . (ب) داؤد الرائي اسمه داؤد بن سليمان من مواليد احد اقاليم كردستان عام ١١٣٥ ، وقد درس في شبابه التوراة والتلمود وفي سنة ١١٦٣ م أدعى أنه المسيح وحاول الهجوم على العرب اثناء انشغالهم بالحرب الصليبية ولكن العرب هزموه شر هزيمة وقتلوه في نفس العام .

الفصل الرابع

أنبياء اليهود وموقفهم من الحرب

التاريخ اليهودي يفيض باسماء أنبياء ، منهم من كانوا أنبياء فعلا ، ومنهم من جعلهم اليهود أنبياء ، وأرسل الله الرسل ليحققوا السلام بين البشر ، ما لم يكن هناك عدوان يتحتم صده فإنه لا يوجد رسول أو نبي من عند الله يمارس الحرب العدوانية ، ومن امثال الشخصيات التي كانت تدعوا للحرب ووضعهم اليهود في مصاف الأنبياء ـ (عزرا ونحميا والمكابيين) .

أما الأنبياء الحقيقيين الذين وقفوا ضد الحرب فمنهم (النبي أشعيا ، والنبي أرميا ، والنبي زكريا ، والنبي ميخا) .

الباب الثالث

الفصل الأول

قواعد التنظيم العسكري لدى اليهود

تبدأ الخدمة العسكرية عند اليهود التي تعتبر فرضاً دينياً مع بداية سن العشرين

وتنظيميا فإن الجيش عند اليهود في البداية كان يجند ابناء العشرين حسب اسباطهم ولكل سبط مجمعته وعند الدخول في الحرب لا يتحرك سوى العشر واما باقي الجنود فإنهم بالاحتياط ومن لا يخرج للحرب يقوم بالاعمال المدنية وكل من تجاوز عملية الفرز يسمى (حلوللص) وهي نفس الكلمة التي تطلق في العبرية الحديثة على الصهيوني الذي يهاجر إلى فلسطين .المهم في حديثنا هنا ان الجندية هي بالنسبة لليهودي عبادة والمعسكر هو معبد يجب العناية

بنظافته وترتيبه ، كما أن لايوجد جيشا نظاميا ومحدداً فكل فئات الشعب هم جنود على ذمة الأحتياط .

وبعض مستلزمات الجيش هي : المعسكر .. وكان اليهود في بادىء الأمر يقيمون خيمة متنقلة بمثابة معسكر ويضعون فيها تابوت العهد اعتقاداً منهم بأن التابوت هو ممثل إلههم وهو الذي سيقودهم نحو النصر ، وكذلك وجود شعار وعلامات ورايات وابواق واعلام .

المظلة وحارس الخيمة والحامية (الحصون) والفرق والألوية التي تميز اسباطهم واعدادهم وقوات التحرك حسب الاتجاهات وكذلك ترفع الرايات على تلك الفرق والألوية والسفن في البحار والأنهار .

وعندما يتم اختيار الجنود الأصحاء الأقوياء لابد من اختبار كيفية اغتراف الماء وكل من لغ بلسانه يستبعد من الجندية ولكن من جثا على ركبتيه واغترف بيده وشرب فهذا هو المطلوب .

واهتمت العسكرية اليهودية بالملابس العسكرية للجنود وتغطية الرأس بخوذة وتعريف الجنود بواجباتهم وحقوقهم ، والاعفاء من الخدمة العسكرية لكل من خاف أو لا يقوى على المواجهة لعلة فيه . كالهروب أو التراجع عن القتال ولذلك قررت التوراة ان يكون مع الجيش كاهن ليقوي قلب الجندي ويثير فيه الشجاعة ، في حالة وفاة الجندي في ساحة المعركة فإنه يدفن في الحال في أرض مملوكة لليهود ، ومن مات خارج نطاق الدولة اليهودية فإنهم يسعود لإحضار الجثة ودفنها في أرض مملوكة لهم ، ولكن العجيب هنا أن كل من لمس الجندي الميت فقد اصابته نجاسة وعليه أن يتطهر .

الفصل الثاني

المرأة اليهودية والحرب

التوراة لا تجيز دخول المرأة في الحرب ، ويمنع تجنيدها ولكن البعض من فقهائهم كان يشجع على وجود المرأة في الحرب ، وأما الذين حرموا تجنيد النساء قي استندوا إلى ما جاء بالتوراة في سفر التثنية ٥/٢٢

« لا يكن متاع رجل على امرأة ، كما لا يلبس رجل ثوب امرأة لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك » .

ولكن المؤيدين لتجنيد المرأة يستندون بأنه ليس هناك في التوراة نصا صريحا يمنع المرأة من التجنيد وحمل السلاح ودائما ما ينظرون إلى (دبورة) التي هي بالنسبة لهم نبية وكانت قاضية بيدها مقاليد حكم . وروت التوراة أنها قادت الجيش باشتراكها مع يا راق ، وهذا يخالف أوامر التوراة .

وكذلك ينظرون لإيزابيل ابنة اتبعل ملك الصيدونيين وكاهن عشترتي وكانت إيزابيل تدين بالوثنية . تزوجت آخاب ملك إسرائيل وكان لها السيطرة حتى تمكنت من أن تدير دفة الحكم بحيث أصبح زوجها وابنه من بعده يحكمان اسمياً بينما تقبض هي على مقاليد الحكم . وقد تمكنت بسيطرتها هذه من إدخال عبادة البعل (الوثنية) في إسرائيل التي كانت تعبد الإله وتدين بوحدانية اللّٰه .

ولا ننسى أيضا رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير المرأة اليهودية القوية في هذا العصر الحديث .

الفصل الثالث

عادات اليهود وتقاليدهم

لليهود عادات استقرت في ضمائرهم ووصلت إلى مستوى الإيمان وربما أشد ، ومن تلك العادات تبريرهم للعدوان والحروب ، فيما اعتاد البنات البكاء على إبنة يفتاح الجلعادي أربعة أيام في السنة ، ولذلك ذكرى لديهم يقدسونها رغم أن القصة تدل على همجية يفتاح الذي كان يحارب باسم الرب ورغم هذا قد أخذا عهدا على نفسه إنه إذا انتصر يقدم قرباناً ضحية بشرية تكون من أهله ، فما عاد بعد الانتصار كان خروج ابنته الوحيدة لاستقباله فامهلها شهرين تبكي فيهما حظها العاثر ، ثم نفذ ما قطعه على نفسه .

ومن عاداتهم أيضا أنهم لا يرسلون الرسل إلا للتهديد أو الحرب .

الفصل الرابع

اليهود يشتغلون جنوداً مرتزقة لدى الدول الأجنبية

اشترك اليهود في جيش اسكندر المقدوني ، والجيش الفارسي وقت السبي البابلي وكذلك جيش يوليوس قيصر الرومي . واليهودي لا يؤتمن على أسرار الدولة يعملون بها ، واسباب خيانتهم هي اسباب دينية وغير دينية ، اما الاسباب الدينية :

١ ـ يرى اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أعلى مرتبة من باقي الدول الأخرى .

٢ ـ تمنعهم التوراة من الاختلاط بالشعوب الأخرى ، مما يمنعهم من الإنخراط في سلك الجندية .

٣ ـ عدم تمكنهم من الالتزام ببعض العادات والتقاليد التي لا تتفق مع الآخر فإنهم يمتنعون عن العمل السبت في هناك دول عطلتها يوم الأحد واليهود يحرمون لحم الخنزير وعدم تناول اللبن مع اللحم ومواعيد الصلوات مختلفة لهذه الاسباب لا يصلح ان يقوم بالعمل مع هذه الاختلافات .

والاسباب غير الاسلامية والتي تكاد تكون لصيقة بالجينات وهي قدرتهم على زرع الفتن واعمال التخريب والانتقام من الاعداء

الجيش الإسرائيلي : يعرف باسم (تصهل) والكلمة اختصار للعبارة العبرية « تصبا هجناه يسرائيل » أي جيش الدفاع الإسرائيلي الذي تم انشاءه مع قيام دولة إسرائيا عام ١٩٤٨م .

فهل تحتاج إسرائيل إلى جيش دائم ؟ بالتأكيد نعم لان من يتتبع تاريخ إسرائيل يجد أنها دائماً في حاجة إلى جيش وذلك لأنها دولة مغتصبة دخلت منذ التاريخ القديم أرض كنعان لتغتصب أرضها من أهلها الأصليين . وفي العصور الحديثة رأينا كيف تسلل اليهود إلى فلسطين وكيف حاولوا انتزاع الأراضي من أصحابها العرب .

لقد وضعت إسرائيل من البدايات في تصورها حدود آمنة ، وهي تلك الحدود التي تقلل من خطر وتهديد الحرب ، وذلك لأنها محاطة بدول

معادية ولا يتوفر عمق استراتيجي وعمق للإنذار مع قلة السكان .
وضعت إسرائيل نظرية أمن خاصة بها تقوم على ثلاث قواعد هي :
١ ـ الاحتفاظ بجيش قوي ، لأن جميع البلاد التي كانوا يغيرون عليها بعد سنوات التيه مما جعل تلك البلاد تقيم جيشا للدفاع عن انفسها . وذلك بدوره اغرى اليهود لتنظيم جيش قوي .
٢ ـ الانتماء إلى دولة كبرى تحميها من الغزو المضاد لتوسعاتها تحالفت مع مملكة آرام ومع آشور وخضعوا للفرس والقبول بالعمل كجواسيس للفرس ضد المصريين ، ثم ساعدوا الحلفاء في الحرب العالمية لشعورهم أن الحلفاء سوف ينتصرون وتواطىء معهم الحلف بوعد بلفور ، ولما تحولت الرياح عن بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ركز اليهود جهودهم للإنتماء إلى هذه الدولة القوية .
٣ ـ تجميع اليهود في إسرائيل بتشجيع الهجرة إليها . أي إلى (أرض الميعاد كما يسمونها) ويستنتج من الإحصائيات التي تنشر أن ثلثي عدد السكان في إسرائيل هم من الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم . ولا شك أن هذه النسبة الكبيرة قد حققت بعض أهداف إسرائيل .

الباب الخامس

التمويل والتموين

كانت البدايات في توفير المؤن بتبرع بعض المدنيين بشيء من الغذاء للجنود وكانت تأتي أيضا من بعض الدول المجاورة (سفر صمويل أول ١٨/١٧/١٦) ، (صمويل ثان ٢٩/٢٨/١٧) .
بعد أن أصبح الجيش الإسرائيلي هيئة مستقلة ذات إدارة متخصصة قامت الدولة بتدبير الأموال اللازمة للتمويل من عدة مصادر هي : (العشور ـ المصادرات والاغتصابات ـ الضرائب المختلفة ـ الجزية ـ السخرة ـ غنائم الحرب ـ اموال بعض الطقوس الدينية كالكفارات)
والمؤلفان قدما في هذا الباب تفسيرا مطولا لكل مصدراً من تلك

المصادر .

الباب السادس

وسائل الدفاع والهجوم لدى اليهود

استخدم اليهود قديما وحديثا وسائل متعددة سواء في حروبهم الهجومية أو الدفاعية . وفي هذا الجزء من الكتاب دراسة مهمة عن كيفية حصول هؤلاء البدو الرحل والقبائل التي تغير على ما جاورها من المدن كيف لهؤلاء اليهود الذين لم يكن لهم حضارة ولا فنون حربية ان تحصل على كل هذه الأسلحة وتلك المبالغة في وصف انتصاراتهم .

الفصل الأول

الأسلحة في الدول القديمة

ذكرت التوراة بعض الأسلحة التي استولى عليها اليهود عند خروجهم من مصر . وكانت مصر قد عرفت تكوين الجيوش والتسليح منذ زمن بعيد ومن تلك الأسلحة دون تفصيل : (الهراوات . والرمح . والدرع . الكبش . الكمين . المركبات الحربية ـ قالت التوراة : فشد يوسف ـ عليه السلام ـ مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه ـ « تكوين ٤٦/٤١ » . والحصون والمبارزة . والإمداد العسكري) .

ووجود اليهود في مصر لمدة اربعمائة سنة جعلهم يستفيدون من علومها وفنونها الشيء الكثير . كما ان سومر في جنوب العراق عرفت التسليح واخذ عنهم اليهود العديد من الاسلحة أهمها : (الكبش . والقوس . والبلطة . والدرع . السيف . ومركبة القتال) .

ادخل الآشوريين اساليب في القتال واسلحة متطورة منها : (السلالم ذات العجلات . والكباش ذات مقدمة من الحديد . والسترة الواقية من النيران . واستخدام القذائف والمشاعل وغاز اللهب) .

أما الكنعانيين فقد عرفوا الحوائط السميكة والسترة المعدنية والمدن المحصنة .

وكذلك أيضا استفاد اليهود من اسلحة الحيثيين والفرس واليونان .

والرومان ، ولكن الخبرة العسكرية الإسلامية التي امتدت في تاريخ العرب الجاهلية والإسلام مثل السيف ، والقوس والنشاب ، والرمح ، والمنجنيق ، والدرع ، والمجن والترس ، وكذلك الحسك والشوك والحجارة ، والحصون ، والخنادق ، والحصار ، والجمال والخيول .

الفصل الثاني

الاسلحة عند الإسرائيليين

أهم الأسلحة لدى الإسرائيليين : العصا ذات الرمزية الهامة في معتقدهم ، وهي سلاح الراعي لقيادة الغنم وعدها واستعملها الملك داود في قتل الدب والأسد كما تقول كتبهم ، والمقلاع سلاح عادي مصنوع من الجلد يكفي لوضع الحجر ، كذلك الترس أو المجن ، والقوس والسهام ، والسيف ، ومنساس البقر يشبه العصا أو السوط ، والمنخاس ، والفأس والخوذة والجرموق وهو جورب من النحاس ، والتمنطق بالحزام ، ومركبة القتال والملابس الصالحة للحركة وتخزين الاسلحة والحجارة بها .

الباب السابع

فنون الحرب

الفصل الأول

الجاسوسية

الجاسوسية إحدى الوسائل الحربية التي يستخدمها المحاربون لمعرفة حالة العدو النفسية والمعنوية والقتالية . وقد عرفت الجاسوسية منذ العصور الأولى في بلاد كثيرة مثل آشور وبابل وعند اليهود ، كما عرفت مصر هذا السلاح إذ كانت تراقب الداخلين إليها من الدول الأخرى لعل يكون بينهم بعض الجواسيس الذي وفدوا ليتجسسوا أحوال مصر .

بدأت الجاسوسية عند اليهود منذ أن أرسل موسى عليه السلام اثنى عشر رجلا ليتجسسوا أرض فلسطين ، وليعرفوا أخبارها وقوتها الاقتصادية والعسكرية .

تقول التوراة : « ثم كلم الرب موسى قائلا : أرسل رجالا ليجسسوا أرض كنعان التي معطيها لبني إسرائيل رجلاً واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون ، فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب وصعدوا وتجسسوا الأرض » (سفر العدد إصحاح ١٣).

وارسل موسى مرة أخرى جواسيس إلى الأموريين وكذلك فعل يوشع وارسل جواسيس لاريحا ، واستمرت عملية التجسس معروفة لدى الإسرائيليين حتى عصر داود .

ولم تقتصر أعمال الجاسوسية على الرجال فقط بل تعدتها إلى النساء وهناك أمثلة على ذلك منها :

راحاب : هي أمرأة زانية من أريحا استضافت جواسيس يوشع الذي ارسلهما إلى أريحا ، ولما جرى البحث عنهما استطاعت تهريبهما مما جعلها قيد الحبس ولكن الجواسيس توسطوا لإخراجها عندما اخذها يوشع .

أستير: لاهمية ما قامت به هذه الجاسوسة اليهودية الحسناء بالتسبب في قتل ما يقرب من سبعين ألفاً من الفرس ، فقد أفرد لها رجال الدين سفراً خاصاً اسموه سفر أستير، وهذا السفر هو السفر اليهودي الوحيد في التوراة الذي لا يحتوي على ذكر اسم الله ، لاعترافهم بأن السفر يدل على الجاسوسية واستخدام النساء في الزنا .

أوقات الهجوم على العدو

كان اليهود يختارون الليل للهجوم على الأعداء خاصة قرب الفجر لإطمأنانهم باسترخاء الأعداء ونومهم لشعورهم بعدم قدرة العدو على السير في هذا الظلام الدامس ، كما لا توجد أنوار غير ضوء القمر وربما كانت مدن الأعداء محاطة بأسوار يجعل الأهالي يطمئنون بان اليهود لن يتمكنوا من الهجوم عليهم إلا نهارا .

الحرب خدعة

استخدم اليهود منذ زمن بعيد أنواعاً من الحيل والخداع في كثير من حروبهم مع الدول الأخرى . وقد بينت لنا التوراة بعض الحيل والخداع .
وفي سفر صمويل قصة هروب داود من أعدائه .
تمكن الملك داود من الهروب من أعدائه باستخدامه الجنون والعبط تقول التوراة : « وقام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاؤل وجاء إلى أخيش ملك جت فقال عبيد أخيش له أليس هذا داود ملك الأرض ؟ فغير داود عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته فقال أخيش لعبيده هو ذا ترون الرجل مجنوناً فلماذا تأتون به إلى ألعلي محتاج إلى مجانين حتى أتيتم بهذا ليتجنن على (سفر صمويل الأول ٢١/١٠) » .

التنكر

وسيلة أخرى لخداع العدو وللتمويه عليه ومن بين تلك الأنواع تنكر القائد في زي أحد الجنود . وهذا الأمر مشهور فعلا وكان الجيش الإسرائيلي يكشف ضباط الجيش المصري من خلال الملابس الداخلية التي تميزهم عن الملابس الداخلية للجنود . والتنكر والتموية والإخفاء من الأمور المشهورة بالحروب وجاء في التوراة : « فصعد ملك إسرائيل ويهوشفاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد فقال ملك إسرائيل وهو آخاب لهوشفاط إني أتنكر وأدخل الحرب وأما أنت فالبس ثيابك فتنكر ملك إسرائيل ودخل الحرب » . (سفر الملوك الأول) .

إشاعة الذعر

إشاعة الذعر وإرهاب السكان الآمنين دون ذنب ولا جريمة لتخويفهم للتسليم أو الهجرة من بلدهم . تلك هي الوسائل التي اعتمدها اليهود في حربهم ولا ننسى الترويع الذي حدث في دير ياسين .
ولقد أوصت التوراة الإسرائيليين بأن يتبعوا تلك الطرق الشنيعة

فأصبحوا يطبقونها كلما سنحت لهم الفرص . تقول التوراة : « واقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » .

ومن فنون الحرب التي عرفها اليهود من المصريين وطبقونها بعد ذلك بل وتفوقوا فيها وهي عمل الكمائن بإدعاء الهروب ، المهم ان ينجذب لهم الناس ثم يردون للإنقضاض عليهم .

الفصل الثاني

الحصار

الحصار سلاح قديم عرفته الأمم كما عرفه اليهود ، وقد تكلمت التوراة في مواضع شتى عن الحصار ونظمه فقالت : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها » . سفر التثنية ٢٠/١ .

المشاعل والحرائق

عندما أراد شمشون الإضرار بالفلسطينيين لجأ إلى حيلة غاية في الغرابة ألا وهي ربط قطع مشتعلة بذيل الحيوانات وترك هذه الحيوانات تجري بين المزارع والحقول فينتشر اللهب وتحرق المزروعات وخسر الفلسطينيون كثيرا من زراعتهم وفي هذا تقول التوراة : « وكان بعد مدة من الأيام حصاد الحنطة أن شمشون أفتقد امرأته بجدي معزٍ ... فقال شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شراً وذهب شمشون وأمسك ثلثمائة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلا من كل ذنبين في الوسط ثم أضرم المشاعل نهاراً وأطلقها من زرع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون » . (سفر القضاة) .

الباب الثامن

الهندسة العسكرية أو هندسة الميدان

الفصل الأول

التحصينات

التحصينات فكرة حربية عرفتها الدول منذ الزمن القديم وأخذ كثيرا منا ما يناسبه ، والتحصينات تأخذ أشكالا عدة منها : (الأسوار ، والحصون ، واستخدام القنوات المائية ، بناء مدن إحتياطية ، الأبراج ، الجدل ، القلاع ، السد الترابي ، الجسور) . تم استخدامها في كل من : العراق ، وأريحا ، رية عمون ، وصور ، وبابل ، وآرام (دمشق الحالية) الأسوار في فلسطين قبل أن يدخلها الإسرائيليين ويحدثنا التاريخ أن مدينة أورشليم وهي أقدم ما عرف عن فلسطين كان بها ستة أسوار ، وكان بعضها يتهدم بفعل غارات الأعداء ، والاسوار موجودة باورشليم القدس قبل أن يدخلها اليهود بمئات السنين وان السور الثالث بني قبل القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

الفصل الثاني

التحصينات في نظر اليهود

بداية عمل التحصينات والتفنن فيها ترجع إلى عهد داود إذ استولى بالقوة على الحصن الفلسطيني القائم في مدينة أورشاليم على جبل صهيون وقد جعله قاعدة حربية للملكة ومعسكر جيشه وهذا العمل يشهد له بالدراية العسكرية الواسعة على مستوى الحروب في زمانه فإن جبل صهيون بهذا الحصن يقع إلى غرب المدينة وهو الجزء الضعيف منها لقلة الجبال من هذه الناحية لانفتاح الطريق إليها من جهلة السهل الساحلي ، فكان لابد من العناية بتحصينها هندسياً من أجل ذلك .

وقد ورد وصف استيلاء الملك داود على حصن صهيون بعد معركة اليبوسين من الفلسطيبنيين سكان القدس القدماء . (صمويل ثان ـ الإصحاح الخامس) .

ولذلك اعتنى اليهود بالحصون والمياه والأبراج ، والجدل (وهو مكان مرتفع أو بناء على ربوة) ، والقلعة ، والجسور ، وأخيراً محاولتهم التحصن من المصريين بعمل خط بارليف الدفاعي المائي الذي يجمع بين الحائل المائي والتحصين الترابي المتصل بانابيب للنابالم .

الباب التاسع

بعض المدن القديمة ذات الشهرة العسكرية

يختصر المؤلفان في هذا الباب على بعض المدن لعدم الرغبة في الإطالة والتركيز على بعض الخصائص فنرى مدينة أورشليم (القدس) القدس معروفة في العهد القديم باورشليم ، سكنها قديما رجل من رجال الله اسمه ملكي صدق قابله سيدنا ابراهيم وباركه ، وتذكر التوراة المقابلة بـــ (سفر التكوين إصحاح ٨ / ١٠) .

ومدينة دمش كانت في الزمن القديم عاصمة الآراميين ، وكان الآراميون شعباً تجارياً وكانت معظم طرق التجارة تصب عندها ، وكانت تضطر للدخول في حروب للمحافظة على تجارتها الواسعة ولها ثقافة وحضارة تمتد لأربعة آلاف سنة وقد صنعوا سراديب في الصخور لتوصيل المياة رغم عدم اختراعهم لأدوات حفر .

قادش هي كلمة منشقة من مقدس استقر بها سيدنا موسى وقد تعرضت المدين للكثير من الغزوات التي تسببت في شهرتها من ناحية ومن تدميرها من ناحية أخرى .

قرقميش (كركميش) كانت عاصمة الحيثيين الشرقية غرب الفرات واشتهرت بكثرة ثرواتها وتعرضت لكثير من الغزوات والتي من أهمها ماقام بها الملك الآشوري ناصر بال ، وقد استولى على مبالغ طائلة بعد انتصاره في هذه الغزوة كما فرض عليها جزية كبيرة (٨٨٥ ـ ٨٦٠) ق . م .

بابل ازدهرت أيام حكم حمورابي وكانت ذات حضارة واسعة ويكفي أنها تركت لنا ما يعرف بقانون حمورابي ، كما جاء ذكر بابل كثيرا في التوراة للعلاقة التي كانت بينها وبين الإسرائيليين ، وكذلك لما كان من

بختنصر وهدم هيكل سليمان سنة ٥٨٦ ق م .
نينوى عاصمة الآشوريين كانت محط أنظار العالم مادامت آشور قوية ، ولكنها أصبحت ضعيفة بعد زوال دولة الآشوريين منذ سنة ٦١٢ ق . م .

الباب العاشر

الفصل الأول

الطرق وأهميتها في الأزمنة القديمة

الطرق بمثابة الشرايين للدولة تربط بين المدن وتقدم خدمات جليلة للإقتصاد والتطور العمراني ، ونقل المواد الغذائية والجيوش . وقد اهتمت الدول قديما بتمهيد الطرق وصيانتها ومنها :
مصر ، وبابل ، وآشور ، وكنعان ، ومؤاب ، والآراميون ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، والعرب .
وكل من تلك الدول كان يصب اهتمامه بالطرق حسب الحاجة وطبيعة الأرض ومساحتها وطرق القوافل وتسيير التجارة .
وذكر القرآن الكريم أهمية هذه الطرق بقوله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف » .

الفصل الثاني

الطرق وأهميتها لإسرائيل

الطرق لها أهميتها لدى اليهود كما هي مهمة لكل الأمم فالطرق معقود بها التجارة والعمران والتطور والربط بين المدن بعضها ببعض ، كما أن اليهود يحجون لبيت المقدس ثلاث مرات بالسنة ، وتتبين أهمية الطرق كذلك لليهود في حروبهم والإغارة على البلاد المجاورة ، كما تعتبر الطرق مورد مالي للدولة من حيث مرور قوافل المسافرين والحجاج والبضائع والقوافل .

الباب الحادي عشر

الفصل الأول

طرق النقل العسكري

استعمل اليهود وسائل متعددة للنقل بعد عنايتهم بالطرق وتمهيدها ومن تلك الوسائل (الحمار) وهو مذكور في كتبهم كعنصر من العناصر المهمة للركوب ووسيلة من وسائل النقل .

تقول التوراة : « ثم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحاً وترد فضة كل واحد إلى عدله وأن يعطوا زاداً للطريق ففعل لهم هكذا فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك » . (التكوين :٤٢)

وكذلك (الثور والبقر) استعمل اليهود هذه الحيوانات في جر العربات حتى ان التابوت كان تجره الثور والبقر . الخيول : من أهم وسائل النقل إلا أن التوراة توصيهم بعدم الإكثار منها حتى لا تذكرهم بمصر خاصة أن معظم خيول سليمان من مصر . البغال : لا يميل اليهود إلى استخدام البغال لأن الدين اليهودي يحرم استعمالها لانها من الحيوانات المهجنة وهذا محرم عندهم . ومع ذلك استعملها اليهود مخالفين بذلك أوامر التوراة . الجمال : كما تحرم الشريعة اليهودية أكل لحم الجمال إلا أنها لم تحرم استعمالها كوسيلة نقل . كما أن للإنسان دور في نقل المعدات والأسلحة .

الفصل الثاني

نقل الأوامر

يعطي رؤساء الفرق الأوامر لمن يلونهم وبدورهم يعطونها لمن يتبعونهم إلى أن تصل القائد وترفع إليه التقارير وهو يكون في الغالب في خيمة المعسكر .

البوق أو الشوفار باللغة العبرية يقال أنه مصنوع من قرن الكبش . وهو وسيلة تجميع الفرق والجيوش وهي لذلك تنقسم البوق صوتا واحداً للقائد والنفخ مرتين لجمع الجيش والنفخ المستمر لجمع الجيوش .

الباب الثاني عشر

قيام الحرب وانتهاؤها

الفصل الأول

من له حق إعلان الحرب

كانت الدولة اليهودية في بدايتها دولة تيوقراطية (دينية) يرأسها رجل دين وتسير حسب قوانين الشريعة الدينية وكان موسى عليه السلام أول حاكم لهذه الأمة ثم يوشع من بعده وشاؤل ثم داود وسليمان .

كانوا هم الذين يصدرون الأوامر ولهم حق إعلان الحرب أو الصلح أو غير ذلك مما يتعلق بالسياسة العليا للدولة ، ثم جاء عصر الملكية منذ عهد شاؤل وداود وسليمان ومن جاء بعدهم ، وأصبح للملك حق التصرف في كل شيء ، ولم يصبح للكهنة واللاويين إلا قبول ما يستحقونه من زكوات وصدقات فقط وأصبح للملك حق إعلان الحرب ووضع النظم الخاصة بها كما أصبح له حق تنظيم الشؤون المالية .

الفصل الثاني

الصلح

جاء في سفر التثنية : « حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن إجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك » سفر التثنية ٢٠/١٠) .

ومن نتائج الصلح : فتح الأبواب لدخول جيش اليهود ، وتكون الدولة مسخرة تحت إمرة اليهود ، وشعبهم عبيد لهم ، وفي حالة الرفض تتم مهاجمتهم لينتهي الأمر إما بنصر أو هزيمة .

ومع ذلك فإن اليهود ينقضون العهد وتلك الصفات اللا أخلاقية من صفاتهم السيئة .

الفصل الثالث

حالة انتصار اليهود ـ التحريم

التحريم حسب المعنى في المفهوم اليهودي هو أنه إذا انتصر الجيش اليهودي على أعدائه فإن الدولة المهزومة يجب أن تهدم وتخرب تخريباً تاماً ويقتل أهلها جميعاً ذكوراً وإناثاً أطفالا وشيوخاً . وكذلك كل ما فيها من حيوانات ومواش وغير ذلك مما هو موجود في المدينة أو الدولة المهزومة .

والتوراة تقول لهم « وكلم الرب موسى قائلا : انتقم نقمة لبني إسرائيل من المدانيين ... فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان وأطفالهم وانهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم . وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل غنيمة وكل النهب من الناس والبهائم .. » سفر العدد ٢٠/٣ .

لا يكتفون بهذا بل يشقون بطون الحوامل . وكل فعل يفعلونه يبررونه بما جاء في التوراة .

الفصل الرابع

الغنائم والاسس الدينية في نشأتها

نلاحظ ان سفر العدد به من آياتهم ما يدل على النهب والسرقة حتى أنهم يؤمنون بحق الله في الغنائم لأن الله هو قائد الجيوش . وجاء في سفر الخروج « أنا الذي أخرجتكم من مصر بيد قوية » .

ويوزعون الغنائم مناصفة بين الجنود والشعب . لأن الشعب يقوم بالحراسة أثناء إنشغال الجنود بالحرب . وكذلك فعلت الشعوب القديمة عندما اعتقدت أن للإله حق في غنائم الحرب . لكن رؤوساء الجيوش يسرقون من تلك الغنائم وكذلك يفعل اليهود .

الفصل الخامس

أسرى الحرب

وموقف الدولة المنتصرة تجاههم .

الأسرى هنا يصبحون تحت رحمة الدولة المنتصرة . إما بالبيع كعبيد أو يوزعون على الجنود لخدمة أسرهم أو لقتع رؤوسهم وتقديم الرؤوس

للقيادة وللملك طمعا في المكافأة ، أو الفداء نظير المال ، أو توزيعهم على المعابد للسخرة والاستعباد ، وهناك من يهجرهم لبلاد أخرى وإحلال آخرين محلهم .
وبنفس المعاملة كانت تعامل الدول الأجنبية لليهود المنهزمين وتلقي بالبعض منهم للوحوش والأسود ، ولكن اليهود يشتهرون بالقسوة والجبروت في معاملتهم للأسرى الأجانب ، والرق عند اليهود أصناف حتى أن اليهودي يستعبد يهودي مثله ، ولعل اقترابهم من التعاليم الإسلامية قد حدد لهم مشكلة السبي وكيفية التعامل معها ، حتى انهم يستعدون فريقا منهم على فريق آخر ولذلك ندد القرآن الكريم بأفعال اليهود ، وفي سورة البقرة يقول الله تعالى : { وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وانتم تشهدون ...... }

الباب الثالث عشر
انهزام اليهود
هذا الباب مكون من اربع صفحات فقط وكلها تتناول موضوع الانتحار لا غير .؟!!
الانتحار .. وموقف الشريعة اليهودية منه
الانتحار محرم لدى الشريعة اليهودية ، حتى انها تمنع الصلوات على جثمان المنتحر ولا يدفن في مدافن اليهود داخل المدينة وإنما الدفن خارج المدينة وبعد غروب الشمس وفي اسرع وقت ممكن ، حتى ان الشريعة اليهودية تحرم التشريح لجسد الميت والعبث به . ومه ذلك لقد خالفوا شريعتهم بإنتحار بعض القيادات عندما ينهزمون في الحرب .

الباب الرابع عشر
الحرب الأهلية في إسرائيل

هذا الباب أيضا يقتصر على موضوع واحد وهو الحرب الأهلية والانقلابات فيما أن اليهود تقيم الحروب بينها وبين الدول والشعوب الأخرى نراها هنا تنقلب على مجتمعها ويتقاتلون بينهم وبين بعض وقد سجل سفر صمويل ثان : ١٨ وسفر الملوك الأول : ١٥ تلك الحوادث بشكل دقيق .

وكذلك كان بعض القادة في إسرائيل كثيراً ما يقومون بثورات ضد حكوماتهم ، والتوراة حافلة بكثير من هذه القصص الخاصة بوصف هذه الإنقلابات العسكرية .

ومنها ثورة يربعام ، وثورة زمري ، وثورة عمري ، وثورة ياهو وكان قائد جيش الملك آخاب بن عمري وثار ضده ياهو واستولى على الملك بعد أن قتل الملك آخاب وأمه ايزابلا .

الباب الخامس عشر

قانون العودة ـ نداء العودة

اصدر هذا القانون الكنيست عام ١٩٥٠م ، يقصد بهذا القانون طلب الحكومة الإسرائيلية من يهود العالم الساكنين في دول غير إسرائيل الرجوع إليها والسكن فيها . وقد سبق ذلك نداء بالالمانية للدكتور ليوبنسكر بحشد اليهود في وطن واحد من أجل تحريرهم ، وجماعة بيلو : (بيت يعقوب لخو ونلخو) أي يا آل يعقوب هلم نسير ، ثم جماعة محبي صهيون والمؤتمرات اليهودية .

التمسك بالأراضي المحتلة

يعتقد اليهود اعتقاداً راسخاً بوجوب التمسك بكل الأراضي التي يستولى عليها الجيش اليهودي وجاء في التوراة : « كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخكم ، لا يقف إنسان في وجهكم الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلكم » سفر التثنية ١١/٢٢ .

استمرار عقيدة تملك الأراضي بالقوة في العصور الحديثة
إسرائيل اصدرت مجموعة من القوانين لتبرير استمرار التمسك بأراضي العرب منها : قوانين الحكم العسكري ، وقانون أملاك الغائبين ، وقانون استملاك الأراضي ، احتكار بيع وشراء المنتجات الزراعية . وقانون تقادم الزمن وقانون الأحراش .

الباب السادس عشر
الأسماء العبرية
الأسماء وتغييرها بين الحين والآخر نجدها عند اليهود وحتى المسيحيين من يتخذوا العمل داخل الكنيسة وظيفة أو من يترهبن ولذلك يكون اسم البابا في الكنيسة اسما معروف به قبل اسم الرهبنة ، وهذا نص من التوراة يقول : « في السنة الثالثة من ملك يهوذا ذهب نابوخذناصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها وأمر الملك اشفتز رئيس خصيانه بأن يحضر من بني إسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء فتياناً لا عيب فيهم حسان المنظر ... وكان من بينهم من بني يهوذا دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا فجعل لهم رئيس الخصيان أسماء فسمى دانيال بلطشاصر وحننيا مشدوج وميشائيل مبشج وعزريا عبد نقق .
ومن الأسماء اليهودية قبل التغيير : (بنزايون : بن صهيون أو ابن صهيون ، موسى : موشيه ـ مويز ، صمويل : شموئيل ، سام ـ صامويل ، بن جوريون : بن جرين ، ابراهيم : ابرام ـ ابراهام ـ ابرامنيو ، يوسف : جوزيف ـ يوسيفوس ـ جوزيا ـ يوسي ، باروخ : برخاه ـ بركات ، داود : دافيد ـ ديدي ، إسحاق : يسحق ـ إيزاك ـ زكي ـ جاك ـ زكاي ، يعقوب : جاكوب ......
المهم الذي يجب معرفته هنا هو أن الاسم يتغير بحسب الرتبة الدينية أو الدرجة الحربية .

الباب السابع عشر

هل أباد اليهود الشعوب التي كانت تسكن فلسطين ؟

هي دعوى خبيثة تعطي اليهود الحق في الوطن الفلسطيني ، إن هذا الإدعاء اليهودي كذب وافتراء يدحضه التاريخ والواقع والآثار بخلاف ماجاء من تناقض في التوراة نفسها ، وإذا كنا لا نعتمد إلا على التوراة كدليل على كذب ادعاءات اليهود لكفى .

سيظهر من خلال التوراة أن اليهود سكنوا بجوار الكنعانيين ، وسكن الكنعانيين وسط اليهود معناه إنهم لم يبيدوهم .

شعب عاي يهزم يشوع : لقد هزم شعب عاي الإسرائيليين وانهزم يوشع قائدهم مما يدحض كذب ما جاء في التوراة من أن بني إسرائيل كانوا ينتصرون في كل حروبهم مع سكان فلسطين .

الفلسطينيون يهزمون اليهود في عهد شاؤل : ولما رأي رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا وأن شاؤل وبنيه قد ماتوا وتركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيين وسكنوا بها .

وهناك أدلة عديدة على وجود سكان فلسطين حتى عصر سليمان منها الدراسة المهمة لرسالة الماجستير المقدمة من المقدم طيار أركان حرب عادل محمود رياض بعنوان : (الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة) ص ٥٦ .

الباب الثامن عشر

اليهود في بلاد العرب

عندما انتصر القائد الروماني تيتوس على اليهود في فلسطين سنة ٧٠ م هدم مدينة القدس هدماً تاماً ودمرها بما فيها هيكل سليمان ولم يبق حجر على حجر وقتل وشتت اليهود وأطلق على المدينة إيليا كايوتلينا . وسكنت القبائل اليهودية (خيبر ، وبنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع) جزيرة العرب في يثرب واشتغلوا بالزراعة والتجارة واشتهروا

بالربا حتى أصبحت كلمة يهودي تعني المرابي .
كانت القبائل في نزاع بين بعضها البعض ، وكثيرا ما كان يتحالف بعضها مع القبائل العربية مثل قبيلتي الأوس والخزرج التي جاءت من اليمن عندما تهدم سد مأرب وتفرقت القبائل ولكن الأوس والخزرج استقرتا بيثرب وكان التانفس بين القبائل إلى أن جاء الإسلام وهاجر النبي صل الله عليه وسلم إليها وانتهت التحالفات بالتآخي الذي ارسى قواعده الإسلام وبالمعاهدة التي وضع قانونها الرسول الكريم صل الله عليه وسلم .

الفصل الأول

الحرب بين المسلمين واليهود

نقضت قبيلة بني قينقاع اليهودية ما جاء بيانه في وثيقة المعاهدة ونشب نزاع بينهم وبين المسلمين واضطر المسلمون إلى إجلائهم بعد الإنتصار عليهم وكذلك فعلو ببني النضير ، لم يقف الأمر عند هذا الحد بل اعلن اليهود عدائهم للمسلمين مباشرة بإنضمامهم إلى جانب قريش .
حاصر المسلمون بني قريظة بعد ان تبين خيانتهم ونقضهم المعاهدة ، ولم ينتظر بنو قريظة بعد هزيمتهم ما يقضي به النبي صل الله عليه وسلم ، ولكنهم طلبوا وسيطا بينهم ووقع الأختيار على زعيم الأوس سعد بن معاذ الذي أصدر حكمه كما يلي : « إني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم الأموال » .

الفصل الثاني

الإسلام يدعو إلى السلم وتجنب الحروب

دعى الإسلام إلى منع الحروب أو تجنبها وتخفيف ويلاتها وقرر لذلك عدة مباديء من أهمها :
١ ـ تحديد أيام خاصة لا تقوم فيها الحروب كالأشهر الحرم .
٢ ـ عدم الإعتداء على أي دولة إلا بشروط خاصة

٣ ـ إقامة هيئة دولية تقوم بالتحكيم أو منع ظلم دولة لدولة أخرى .
٤ ـ وضع وصايا يجب اتباعها عند قيام الحرب بين الدول ، ومن تلك الوصايا :
ـ إعلان العدو بقبول الصلح إذا طلب ذلك .
ـ الرحمة والشفقة بالأعداء ما امكن بتجنب قتل الأطفال والنساء أو الحرق والتدمير .
ـ عدم ضرب المدن أو سكانها بعد انتهاء الحرب أو تنفيذ الهدنة .
ـ عدم ردم الآبار أو تسميمها وعدم الغدر .
ـ معاملة الأسرى معاملة أخوة لا معاملة عبيد .
ـ احترام رجال الدين من أهل الأديان الأخرى.

وكذلك تقييد استعمال السيف أي تقييد الحروب ، وإقرار الحرية الدينية ، ولكل انسان حرية المعتقد ، عدم التعرض للبيوت المخصصة للعبادة من صوامع وبيع وصلوات ومساجد بالهدم بل بالمحافظة عليها ، والإسلام يدعو إلى إنشاء هيئة عامة للصلح بين المتحابين ففي الصلح خير .

الباب التاسع عشر

مقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان

في إنشاء هيئة تعمل للسلام

وصايا الحرب

كان النبي عليه الصلاة والسلام ومن بعده الخلفاء الراشدين من بعده ـ يوصون قواد الجيوش بأن يراعوا قواعد الدين الحنيف ومبادىء الأخلاق الحسنة ، وأن يستوصوا بأهل الذمة خيراً .

سمو القواعد الأخلاقية عند المسلمين أثناء الحرب

يقول عليه الصلاة والسلام : « لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا » ، ويقول أيضاً : « لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صغيراً ولا امرأة » .

أما وصية أبو بكر الصديق رضى اللّٰه عنه لأسامة بن زيد وقد بعثه لمحاربة أهل الردة : « ولا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تجهزوا

على جريح ولا تقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعير ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وهذه وصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصي بها القائد سعد بن أبي وقاص حين افتتح العراق « أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك إلى العسكر من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعمالها .

وقد كنت أمرتك أن تدعو الناس ثلاثة أيام ، فمن استجاب لك وأسلم قبل القتال فهو رجل من المسلمين له ما لهم وله سهم في الإسلام . ومن استجاب لك بعد القتال وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين وماله لأهل الإسلام لأنهم أحرزوه قبل الإسلام » .

الباب العشرين

كيف يعامل الإسلام أعداءه في الحرب

اشترط الإسلام لقيام الحرب شروطاً عدة : ان تكون لحماية الدعوة الإسلامية أو لرد عدوان وقع على أحد منهم أو نقد عهد أو هجوم قام به عدو لهم .

ومن ذلك يتبين أن الدين الإسلامي يحرم الاعتداء على الغير كما أنه لا يرغب في حرب استعمارية .

مالا يحل للمسلمين عمله وقت الجهاد (الحرب)

١ ـ الغدر والغلول والمثلة .

٢ ـ لا يجوز الإجهاز على جريح بل يجب الإبقاء عليه .

٣ ـ لا يجوز قتل المرأة والصبي غير المكلف والشيخ الفاني والأعمى المقعد إلا أن يكون محارباً فعلا .

٤ ـ لا يجوز قتل الرهبان وأهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس وينقطعون لعبادة الله .
٥ ـ عدم قتل يا بس الشقة ومقطوع الذراع أو الأطراف ما لم يقاتلا فعلا .
٦ ـ لا يجوز لأفراد الجيش أو قواده قتل من يقع في أيديهم من الأسرى ، بل يجب أن يترك أمرهم للإمام أو الخليفة .
٧ ـ لا يجوز للمجاهد قتل أبيه المشرك في الجهاد .
٨ ـ لا يجوز للمجاهدين أن يرتكبوا عملا من أعمال التخريب ، ومن ذلك احراق المباني والحصون وإغراق البلاد وقطع الأشجار المثمرة وعقر المواشي .
٩ ـ لا يجوز قتل أحد من أهالي البلاد المغزوة إذا علم أن فيها مسلم أو ذمي لاحتمال أن يكون المقتول هو ذلك المسلم أو الذمي .
١٠ ـ لا يجوز قتل من كف عن القتال وسلم أو أسلم .
١١ ـ الإحسان إلى الأسير وقد مدح الله من يطعم الأسير في قوله تعالى : { ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا } سورة الإنسان : آية ٨ .
ولا يجوز للمسلمين نقض الهدنة ونبذ الصلح ومراعاة الأشهر الحرم .
وبتلك الكلمات وعند هذا الباب ننتهي من تلخيص كتاب (شريعة الحرب عند اليهود) وبقيت لدى هذا المؤلف الكبير العديد من الكتب منها كتاب الربا وكتاب اللهجة العامية المصرية وغيرها من الكتب وهذا غيض من فيض أحببت أن يطلع القارىء الكريم على هذه التجربة الإنسانية الجميلة معترفا بأنني تعلمت أشياء كثيرة خلال هذه الجولة في عقل وفكر الاستاذ سيد عاشور واكتسبت الكثير من المعرفة وزادت محبتي لديني واعتزازا به ليس من باب المقانة فقط في أبواب الشريعة ولكن لإنسانية هذا الدين الذي يتجاسر البعض عليه وتصرفون تصرفات ليست من الدين وبعضهم من يتاجر به في الحروب والبحث عن الكراسي ، وجدت في هذه الرحلة المعرفية دروبا قد تفتحت ونوراً

على الطريق لمن يريد المزيد .
تحية تقدير لهذا الرجل الجليل وصديقه الحميم الدكتور ظاظا السبب بعد الله في معرفتي بهذا الرجل القامة والقيمة ، هذا كل ما لدى ، والله من وراء القصد ،،،،

راضي جودة

راضي جودة

تمكن الملك داود من الهروب من أعدائه باستخدامه الجنون والعبط تقول التوراة : « وقام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاؤل وجاء إلى أخيش ملك جت فقال عبيد أخيش له أليس هذا داود ملك الأرض ؟ فغير داود عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته فقال أخيش لعبيده هو ذا ترون الرجل مجنوناً فلماذا تأتون به إلى ألعلي محتاج إلى مجانين حتى أتيتم بهذا ليتجنن على (سفر صمويل الأول 21/10) » .